الأدارســـة

وصراعهم من أجل البقاء

(٢١٣-٣٧٥ هـ / ٨٢٨-٩٨٥ م)

د/ عفيفي محمود ابراهيم

أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب ببنها

مـقـدمـــة

قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصي

عندما ثار العلويون علي الدولة العباسية في عهد الخليفة الهادي (١٥٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بمدينة مكة في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ / مايو ٧٨٦ م لحقت بهم هزيمة نكراء في موضع يسمي فخ (١) ، وقتل في هذه المعركة الحسين ومعظم أصحابه ، ولم يفلت منها إلا عدد قليل، كان منهم إدريس بن عبد الله الذي اتجه إلي مصر برفقة مولي له اسمه راشد ، ومنها سار إلي المغرب الأقصي ونزل بمدينة وليلي في ربيع الأول سنة ١٧٢ هـ / أغسطس ٧٨٨ م (٢) . فاستقبله زعيم قبيلة أوربة البربرية اسحاق بن

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ، ص ١٩٢ - ١٩٨ / ابن قتيبة : المعارف ص ٣٨٠ ، ٣٨١ / اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ / ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٢٣٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٠ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ١٩ / ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٨ .

محمد بن عبد الحميد الأوربي ، بعد أن عرف قرابته للرسول ، وقدم له العون والتأييد لنشر دعوته وتأسيس دولته ، فبايعه ومعه أفراد قبيلته يوم الجمعة ١٤ من رمضان من نفس العام / ١٥ فبراير ٧٨٩ م ، ثم وفدت إليه قبائل زناته وغيرها من قبائل البربر، وفي مقدمتها زواغة وزواوة ولماية واواته وسدراته وغياثه ونفزة ومكناسة وغمارة ، فبايعوه علي السمع والطاعة واعترفوا بسلطانه ، كما أقبلت عليه الوفود من مختلف المناطق (١) .

فلما استوثق لادريس بن عبد الله الأمر اتخذ مدينة وليلي مقراً له ، وجمع جيشاً من القبائل التي أنطوت تحت لوائه ، وزحف بهم إلي بلاد تامسنا وتادلة ، وكان أكثر سكانها من اليهود والنصاري ، فهدم معاقلهم وحصونهم ، فأسلموا علي يديه . ثم عاد ادريس إلي مقر إقامته في مدينة وليلي في ذي الحجة سنة ١٧٢ هـ / مايو ٧٨٩ م فأقام بها إلي أن استراح جيشه (٢) ، ثم خرج لغزو بقايا اليهود والنصاري البربر في المناطق الجبلية الحصينة التي لم تكن قد خضعت له بعد كحصون فندلاوة ومديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازاز . فدمر بلادهم ، وهدم حصونهم حتي (دخلوا في الاسلام طوعاً وكرها) (٣) ثم رجع مرة ثانية إلي وليلي في منتصف جمادي الثاني سنة ١٧٣ هـ / اكتوبر

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٢ / ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٨ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٢ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام : القسم الثالث ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢١ .

٧٨٩ م [١] .

وفي منتصف رجب من نفس العام / ٨ ديسمبر ٧٨٩ م خرج إدريس بن عبد الله إلي مدينة تلمسان لاخضاع قبيلتي مغراوة وبني يفرن ، فلما وصل إلي مشارفها ، خرج إليه أميرها محمد بن خزر الزناتي يطلب منه الأمان ، فأجابه إلي ماطلب ، فبايعه ابن خزر ، وجميع من كان معه بتلمسان من قبائل زناته بالإمامة . فدخل إدريس تلمسان صلحاً وأمن أهلها ثم عاد مرة أخري إلي قاعدة ملكه بمدينة وليلي وذلك في صفر سنة ١٧٤ / يونيه ٧٩٠ م بعد أن عين محمد بن خزر واليا علي المدينة وأمر ببناء مسجدها الجامع وبصنع منبر له نقش عليه اسمه وتاريخ إنشائه [٢] .

فلما علم الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٨٧٦ - ٨٠٩ م) بما وصل إليه إدريس بن عبد الله من نفوذ وسلطان في المغرب الأقصي ، وأنه بدأ يوجه أنظاره ناحية الشرق بعد فتحه لمدينة تلمسان ، وأنه عزم علي غزو إفريقية ، اشتد خوفه وقلقه ، وأخذ يفكر في إرسال جيش كثيف للقضاء عليه . ولكنه عدل عن ذلك لبعد المسافة ووعورة الطريق [٣] ، فأشار عليه وزيره

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢١ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٢ ، ١٣ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام : القسم الثالث ص ١٩١ ، ١٩٢ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤١ .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢١/ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٣ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٢ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢١ ، ٢٢ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

يحي البرمكي بأن يبعث له برجل من ذوي الحزم والمكر والأقدام ليقتله ، ووقع اختيارهم علي سليمان بن جرير ، المعروف بالشماخ [1] لتنفيذ هذه المهمة ، فخرج متوجهاً إلي المغرب الأقصي ، فلما التقي بادريس تظاهر له بالتشيع ومحبته لآل البيت ، فاكرمه وقربه إليه [2] ، ومن ثم أخذ الشماخ ينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذ خطته ، اذ كان راشد لا يفارق إدريس أبداً فلما واتته الفرصة ، دس السم له في قارورة طيب ، فلما شمها إدريس وقع مغشياً عليه ، وتوفي في نفس اليوم [3] .

غير أن المؤرخين اختلفوا حول تاريخ وفاته ، فتجمع بعض الروايات علي أنه توفي سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ - ٧٩٢ م [4] بينما ينفرد ابن أبي زرع برواية أخري ، ذكر فيها أن ادريس قد توفي في مستهل ربيع الآخر من سنة ١٧٧ هـ / ١٦ يوليو ٧٩٣ م [5] .

---

(١) يذكره البكري باسم : سليمان بن حريز الجزري (المغرب ص ١٢٠) .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ ، ١٩٩ / البكري : المغرب ص ١٢٠ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٢/ الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٤ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص ٥٢ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٣ / الناصري: الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٤ .

(٤) البكري : المغرب ص ١٢٢ / ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص ٥٣ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٠ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثالث ص ١٦٩ / ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٣ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٦ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨٠ .

(٥) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٣ / الناصري: الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٣ .

أما الشماخ فبعد أن انتهي من مهمته هذه هرب قبل أن يكتشف أمره ، فلما تبين لراشد غيابه تأكد انه وراء هذا الحادث ، فركب في أثره مع جماعة من أصحابه، فلحق به وهو يعبر نهر ملوية ، فضربه بسيفه ، ولكنه لم يصب منه مقتلا ، إذ كبا به فرسه ، فتمكن الشماخ من النجاة ، والعودة إلي بغداد ، فكافأه هارون الرشيد علي ذلك بتوليته بريد مصر وأخبارها (١) .

فلما توفي ادريس لم يكن له وريث يخلفه وانما ترك جارية له من البربر تسمي كنزة حاملاً في الشهر السابع (٢) ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس ، وذكر لهم أمر الجارية (٣) ، فقالوا له : (ايها الشيخ المبارك مالنا رأي إلا ما رأيت فانك عندنا عوض من إدريس تقوم بأمرنا كما كان إدريس وتصلي بنا وتحكم فينا بما يقتضي الكتاب والسنة حتي تضع الجارية ، فان وضعته غلاماً ربيناه ، وبايعناه وان وضعت جارية نظرنا في أمرنا) (٤) فانتظر أشياعه حتي وضعت الجارية غلاماً سمي إدريس ، فكفله راشد وأحسن تأديبه ، فأحفظه القرآن وهو ابن ثمانية أعوام ، وعلمه الحديث والنحو والشعر والحكم ، وسير الملوك وسياستهم ، وأيام الناس ، وركوب الخيل ،

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ، ص ١٩٩ / البكري : المغرب ص ١٢١ / ابن الاثير : الكامل جـ٥ ص ٧٦ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٤ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٣ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٤ .

(٢) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٤ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٥ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ١٩٥ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٥ .

(٤) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٤ ، ٢٥ .

والرمي بالسهام ، ومكايد الحروب ، مما جرت العادة علي تعليمه لأبناء الامراء والملوك . وما كاد يبلغ سن الحادية عشرة حتي اتقن كل ذلك وبرع فيه (١) .

علي أن استقرار الأوضاع من جديد للأدارسة في المغرب الأقصي أعاد الخوف والقلق لولاة العباسيين في إفريقية ، لذلك عمل إبراهيم بن الأغلب علي التخلص من راشد الذي كان يري فيه المحرك الرئيسي لكل ما يحدث في تلك المنطقة . فاستمال ابن الأغلب بعض المحيطين براشد من البربر ، وأغدق عليهم الأموال إلي أن قتلوه (٢) .

غير أن مقتل راشد لم ينجم عنه أي اضطراب أو فوضي كما توقع ابن الأغلب ، فان الامور سارت في مجراها الطبيعي ، فقد سارع البربر إلي اختيار وصي جديد ، وهو أبو خالد بن يزيد بن الياس العبدي (٣) ، الذي حرص علي تجديد البيعة لادريس ، وذلك يوم الجمعة السابع من ربيع الأول

---

(١) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٥ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ١٩٦ / الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٤٦ .

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة راشد فقد أجمع البكري وابن الخطيب وابن خلدون علي أن وفاته كانت سنة ١٨٦ هـ (المغرب ص ١٢٢ / اعمال الاعلام . القسم الثالث . ص ١٩٧ / العبر جـ٤ ص ١٣) اما ابن ابي زرع فقد جعل وفاة راشد سنة ١٨٨ هـ (الأنيس المطرب ص ٢٧) .

(٣) البكري : المغرب ص ١٢٢ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٧ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ١٩٧ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٤٦

سنة ١٨٨ هـ / ٢٣ فبراير ٨٠٤ م [١] .

وقد اكدت هذه البيعة من جديد ولاء هذه القبائل لآل البيت ومحبتهم لهم ، كما أكدت في نفس الوقت استقرار الاوضاع لادريس الثاني في المغرب الأقصي ، حيث عظم سلطانه ، وقويت شوكته ، وذاع صيته خارج حدود إمارته ، فوفد إليه العرب من سائر البلدان ، وبصفة خاصة من إفريقية والأندلس [٢] . ويقدر المؤرخون عدد الذين وفدوا عليه في سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م وحدها ، بخمسمائة فارس [٣] ، من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم عليه ، فأجزل لهم العطاء ، وقربهم إليهم ، وجعلهم بطانته دون البربر [٤] لأنه وجد أن

---

(١) هناك تضارب بين المؤرخون حول تاريخ بيعة ادريس الثاني ، فيجمع ابن ابي زرع وابن خلدون والقلقشندي علي أن ادريس قد تمت بيعته سنة ١٨٨ هـ . أما البكري وابن عذاري فقد اتفقا علي أن بيعته كانت سنة ١٨٧ هـ .

(ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٧ / ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٣ / القلقشندي : صبح الاعشي جـ٥ ص ١٨١ / البكري : المغرب ص ١٨٧ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٠) .

(٢) انظر: البكري : المغرب ص ١٢٢ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٠ / سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ٢ ص ٤٤١ / حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ / الشعراوي : الامويون أمراء الاندلس ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ /المراكشي : المعجب ص ٣٣ – ٣٥ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٨ / ٢٩ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٣ /الجزنائي زهرة الآس ص ١٣ .

(٤) نفس المصدر .

هذه العناصر الوافدة ، التي لا تنتمي إلي قبيلة عربية واحدة ، ستحقق له التوازن المفقود وسط هذا المحيط البربري الذي تسيطر عليه قبيلة أوربة . لذلك فقد استوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي الملقب بالملجوم ، وكان من فرسان العرب وسادتها ، كما استقضي منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي ، وكان فقيهاً صالحاً ورعاً ، كذلك اتخذ أبا الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي كاتباً له (١) .

ويبدو أن هذه الهجرات المستمرة التي اتجهت نحو مدينة وليلي قد أدت إلي ازدحام المدينة بهؤلاء الوافدين الجدد ، مما دفع إدريس الي الشروع في بناء مدينة جديدة ليقيم بها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته (٢) . خاصة أن الظروف والتطورات السياسية في تلك الفترة ، التي رجحت كفة العرب علي البربر ، لا تسمح بأن يظل إدريس في وليلي – مدينة أوربة – وكان لابد من اتخاذ حاضرة جديدة أكثر اتساعاً وأكثر تمثيلا للاتجاه السياسي الجديد ، وهو الاتجاه العربي (٣) .

وقد بدأ العمل في هذه المدينة ، وهي مدينة فاس ، بالعدوة الشرقية من المدينة ، والتي عرفت فيما بعد بعدوة الأندلس ، في مستهل ربيع الأول سنة

---

(١) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٢٩ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٤٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٩ / نفس المصدر جـ١ ص ١٤٩ .

(٣) يؤكد وجهة نظر الاستاذ الدكتور الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ما ذهب إليه جوتييه بعدم الأخذ بفكرة ضيق وليلي بأهلها ، اذ يقول أن خرائب وليلي موجودة وان مكان المدينة لا يمنع من اتساعها (سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ١ ص ٤٤٤ / Gautier : le Passé de l'Afrique du Nord . PP. 307 - 308 .

١٩٢ هـ / ٤ يناير ٨٠٨ م [١] . ولكن إدريس الثاني رأي أن العدوة الغربية المقابلة لها ، والتي ستعرف فيما بعد بعدوة القرويين ، تتميز بوفرة الأشجار والمياه ، لذلك قرر الانتقال إليها ، وبدأ البناء فيها في العام التالي مستهل ربيع الآخر سنة ١٩٣ هـ / ٢٢ يناير٨٠٩ م ، وذلك ببناء المسجد الذي عرف بجامع الشرفاء ، ثم أخذ في بناء دار الإمارة المعروفة بدار القيطون ، ثم بني القيسارية إلي جانب المسجد ، وأدار حوله الأسواق من كل جانب ، وأمر الناس بزيادة البناء والغرس [٢] ، وقال لهم : (من ابتنا موضعاً وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهوله هبة ابتغاء وجه الله تعالي) [٣] فسارع الجميع بالمشاركة في بناء المدينة وتعميرها ، فبنوا الدور والحوانيت وغرسوا الأشجار ، فقصدها الناس من كل مكان ، وأقام بها العلماء والتجار وأرباب الحرف وغيرهم ، فاتسعت المدينة وكثر عدد سكانها [٤] ، فلما فرغ إدريس من بنائها انتقل

---

(١) انظر: البكري : المغرب ص ١٢٢ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٨ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٣ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ١٩٩ / ليفي بروفنسال: الاسلام في المغرب والأندلس ص ١ – ٥٠ / سالم : المغرب الكبير جـ٢ ص ٤٨٧ – ٥٠١ / سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي جـ٢ ص ٤٥٠ – ٤٥٣ .

(٢) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٨ ، ٣٩ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٣ / ابن الخطيب: أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ١٩٩، ٢٠١ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥١ / بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٩ .

(٤) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٣٢ – ٥٠ / السبتي : اختصار الأخبار ص ٦٥ ، ٧٢ .

إليها واتخذها حاضرة له [1] .

أقام إدريس الثاني في حاضرته الجديدة إلي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م ثم خرج لغزو نفيس وبلاد المصامدة فأخضع قبائلها ، ثم عاد إلي فارس وأقام بها حتي شهر محرم سنة ١٩٩ هـ / أغسطس ٨١٤ م وخرج مرة ثانية ناحية المغرب الأوسط لغزو قبائل نفزة ونجح في اخضاعهم ودخول مدينة تلمسان ، فأقام بها نحو ثلاث سنوات ، فأصلح أسوارها ، ورمم جامعها الذي بناه والده ، وأقام فيه منبراً جديداً [2] .

وبعد أن مهد ادريس هذه النواحي ، عاد إلي فاس فأقام بها إلي أن توفي في شهر جمادي الآخرة سنة ٢١٣ هـ / ٢٩ أغسطس ٨٢٨ م [3] . وباختفائه من علي مسرح الأحداث السياسية في المغرب الأقصي طويت صفحة هامة من صفحات التاريخ في هذه المنطقة ، فقد كان إدريس المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ، فقد استطاع بحزمه وحكمته إحباط مؤامرات الأغالبة ، ومن ورائهم خلفاء الدولة العباسية وتمكن من تثبيت سلطانه علي قبائل البربر العاتية ، إلي أن بلغت الدولة في عهده أوج مجدها وعظمتها .

---

(١) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٥٠ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٣ .

(٢) البكري : المغرب ص ١٢٣ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٥٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) انظر : البكري : المغرب ص ١٢٣ / ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص ٥٤ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٤ / ابو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٧ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨١ .

أولاً : تصدع دولة الأدارسة وسقوطها في ايدي الفاطميين

لما توفي ادريس الثاني آلت الامامة إلي أكبر ابنائه محمد (٢١٣ – ٢٢١ هـ / ٨٢٨ – ٨٣٦ م) الذي ولد من احدي نساء قبيلة نفزة ، وفي عهده وضعت اولي بذور التفتت والانقسام في بنيان هذه الدولة الفتية التي لم يمضي علي قيامها أكثر من اربعين عاماً ، وذلك عندما قسم امارته إلي عدة ولايات (١) ، بناء علي نصيحة جدته كنزة ، ووضع علي رأس كل ولاية أحد أخواته (٢) .

ويبدو أن الهدف من هذا التقسيم كان تقوية قبضة الأسرة الحاكمة علي مقاليد الامور في البلاد ، غير أن النتيجة الطبيعية لهذا العمل ظهور الاطماع الشخصية والسعي نحو الاستقلال ، فقد خرج عليه اخوه عيسي الذي ولاه شالة وبلاد تامسنا ، ونبذ الطاعة ، ودعا لنفسه ، فأراد محمد الاستعانة بأخيه القاسم ، صاحب طنجة ، فكتب إليه يأمره بمحاربة عيسي واخضاعه غير أن القاسم امتنع عن ذلك ، واعتذر إليه عن تنفيذ أمره ، فكتب إلي أخيه الثاني عمر ، صاحب صنهاجة وغمارة ، فأجابه إلي ما أراد ، وسار لقتال عيسي علي رأس جيش كثيف من بربر

---

(١) انظر : الملحق

(٢) البكري : المغرب ص ١٢٤ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٥١ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٠٢ – ٢٠٥ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٦ .

(٣) انظر : سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي جـ٢ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ / محمود اسماعيل : الأدارسة ص ٧٩ ، ٨٠ .

٢٢١ هـ / مارس ٨٣٦ م فدفن بشرقي جامع الشرفاء مع أبيه وأخيه ، بعد أكثر من ثمانية أعوام امضاها في حكم هذه الامارة (١) .

ولما توفي محمد خلفه ابنه علي (٢٢١ هـ - ٢٣٤ هـ / ٨٣٦ - ٨٤٩ م) وكان في التاسعة من عمره ، فقام بأمره رجال دولة أبيه من العرب والبربر ، فأحسنوا تربيته وكفالته ، فبايعوه بالامامة وهو غلام صغير ، ولم يخرجوا عن طاعته (٢) . ولم يذكر لنا المؤرخون إلا القليل عن أخباره ، ومن ذلك انه اشتهر بالذكاء والنبل ، وانه سار علي سيرة أبيه وجده في العدل والفضل والدين ، فتمتع الناس في عهده بالأمن والدعة ، واستمر علي ذلك إلي أن توفي في رجب سنة ٢٣٤ هـ / يناير ٨٤٩ م بعد أن عهد لأخيه يحي بن محمد بالأمر من بعده (٣) .

تولي يحي بن محمد الامامة بعد وفاة أخيه ، فعرفت الدولة في عهده الاستقرار والرخاء ، خاصة حاضرته مدينة فاس التي استبحر عمرانها ، فبنيت بها الحمامات والفنادق ، ورحل الناس إليها من إفريقية والأندلس ، فضاقت المدينة بسكانها ، فاتجه الناس إلي البناء في الأرباض (٤) . وفي عهده شيد

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٤ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٢ ، ٥٣ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٤ / الناصري جـ١ ص ١٥٨ .

(٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٣ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٤ ، ١٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٣ ، ٥٤ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٩ .

أعظم انجاز حضاري في المغرب الأقصي ، وهو جامع القرويين ، الذي اسسته أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني [1] في مستهل رمضان سنة ٢٤٥ هـ / ديسمبر ٨٥٩ م [2] .

توفي يحي بن محمد في تاريخ لم تحدده المصادر [3] التي بين أيدينا [4] ، فخلفه ابنه يحي بن يحي ، الذي أساء السيرة ، فانصرف عن تدبير أمور دولته ، إلي الانهماك في الشراب والهيام بالنساء ، فاستغل أخوته وأبناء عمومته انصرافه

---

(١) فاطمة بنت محمد : وهي سيدة وفدت من القيروان بصحبة زوجها وأختها ، إلي مدينة فاس واستقرت مع اسرتها هذه بعدوة القرويين ، ويبدو ان هذه الأسرة كانت موسرة ، وانهم حملوا ثروتهم معهم من مدينة القيروان ، فلما توفي زوجها وأختها ورثت عنهما مالاً جسيماً ، حلالاً طيباً ، فعزمت علي بناء مسجد ، فاشترت موضع الجامع المذكور أعلاه ، بهذا المال الموروث وشرعت في بناء هذا الجامع (ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٥٤ ، ٥٥ / سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٦) .

(٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٤ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / الجزنائي : زهرة الآس ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) لم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته ، ولكن بما أن جامع القرويين قد بني في أيامه سنة ٢٤٥ هـ فتكون وفاته أذن بعد ذلك التاريخ .

(٤) من الجدير بالذكر أننا نفتقد في هذه الفترة التوقيت الدقيق الخاص بولاية الأئمة ووفاتهم ، وغياب التحديد التاريخي هذا يدو في أغلب الظن إلي الشك في صحة ترتيب أمراء الادارسة الذين يلون علي بن محمد ، وهو الأمر الذي يؤيده اختلاف كل من البكري وابن عذاري وابن أبي زرع فيمن أتي بعد علي بن محمد (سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ٢ ص ٤٢٢ / انظر : البكري : المغرب ص ١٢٤ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٥٣ .

هذا واستقلوا بما تحت ايديهم من أعمال ، وقد أشار ابن عذاري إلي ما وصلت إليه دولة الأدارسة من تفكك في عهد يحي بن يحي وأسباب ذلك بقوله : (وتشاغل يحي عما كان يحق عليه من سياسة أمره . فملك إخوته أنفسهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : إنما نحن أبناء أب واحد ، وقد ترون ما صار إليه أخونا يحي من أمره . فقدمهم البربر علي أنفسهم تقديماً كلياً (١) .

وهكذا حدث مزيد من التفكك والانقسام في كيان دولة الأدارسة التي انشغل عنها أميرها يحي باللهو والمجون ، فكلفه ذلك سمعته ثم عرشه في نهاية الأمر ، وذلك عندما هام بفتاة يهودية تسمي حنة ، وكانت أجمل نساء عصرها ، ودخل عليها الحمام المقصور علي النساء ، وراودها عن نفسها ، فاستغاثت بمن حولها ، فثار أهل فاس عليه وخلعوه ، فهرب إلي عدوة الأندلسيين ، فمات بها بعد ليلتين من وصوله إليها أسفاً وحزناً علي فعلته (٢) .

فلما مات يحي ، ثار بمدينة فاس عبد الرحمن ابن أبي سهل الجذامي واستولي علي مقاليد الأمور بالمدينة (٣) . فكتبت زوجة يحي واسمها عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس إلي أبيها ، الذي كان أميراً علي بلاد صنهاجة

---

(١) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ .

(٢) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٧ ، ٧٨ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٢ .

(٣) البكري : المغرب ص ١٢٤ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٠٨ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٢ .

وغمارة بمنطقة الريف ، تخبره بما حدث من تطورات [1] . فقدم بجيوشه وحشمه إلي مدينة فاس ودخلها ، فبايعه أهل المدينة بالامامة علي سائر اعمال المغرب ، وبذلك انتقلت الامامة من أبناء محمد بن إدريس إلي أبناء عمر ابن ادريس [2] .

استقام الأمر لعلي بن عمر في بلاد المغرب الأقصي ، وخطب له علي جميع منابرها ، إلي أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري [3] الخارجي المذهب ، في جبل مديونه جنوبي مدينة فاس [4] ويبدو أن سيرة امراء الأدارسة في فاس وفي غيرها من البلاد ، بعد أن استهوتهم عيشة الترف والتمتع بمباهج الحياة ،

---

(١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ٢٣ .

(٢) البكري : المغرب ص ١٢٥ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٢ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٠٨ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٢ .

(٣) عبد الرزاق الفهري : وهو من مدينة وشقة في الثغر الأندلسي الأعلي ، وقد هاجر إلي المغرب الأقصي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، واستقر في الاقليم الجبلي الواقع في قبلي مدينة فاس ، حيث كانت قبائل مديونه علي مسيرة يوم ونصف اليوم منها ، وكان علي مذهب الخوارج الصفرية ، لذلك فاغلب الظن انه بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما جرت العادة عند الخوارج ، بل عند غيرهم من دعاة الاصلاح . (البكري : المغرب ص ١٢٥ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ ، ٧٩ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ٢ ص ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٤) البكري : المغرب ص ١٢٥ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٢ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٠٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٢ .

قد سمحت لسكان المغرب بالاصغاء لمثل تلك الدعوة [1] ، لذلك انضم إلي عبد الرزاق – كما يذكر ابن ابي زرع : (خلق كثير من البربر ومديونه وغيرهم) [2] فخرج بهم والتقي بطي بن عمر ، ودارت بين الفريقين معارك عديدة انتهت بهزيمة علي وفراره إلي بلاد أوربه . فاستولي عبد الرزاق علي عدوة الأندلسيين وخطب له علي منابرها ، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء علي عدوة القرويين بعد أن استبسل أهلها في الدفاع عنها ، وارسلوا إلي يحي بن القاسم المعروف بالعوام فبايعوه وولوه علي أنفسهم ، فتصدي لقتال عبد الرزاق الفهري وتمكن من التغلب عليه واخراجه من عدوة الأندلسيين [3] .

ولما اطمأن يحي إلي استقرار الأوضاع في عدوة الأندلسيين خرج لمواصلة قتال الخوارج وعلي رأسهم عبد الرزاق بعد أن استعمل عليها ثعلبة بن محارب بن عبد الله ، وهو من أهل الربض بقرطبة الذين لجئوا إلي مدينة فاس عند انشائها واستقروا بعدوة الاندلسيين ، ولم يزل والياً عليها إلي أن توفي ، فاستعمل مكانه الامام يحي ابنه عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود ، ولما توفي هو الآخر خلفه ابنه محارب بن عبود [4] .

---

(١) سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٨ .

(٣) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٢

انظر : البكري : المغرب ص ١٢٥ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٧٩ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٥ .

(٤) نفس المصدر .

اما يحي بن القاسم فقد ظل أميراً علي فاس وأعمالها ، إلي أن قتل في سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م في احدي المعارك التي شنها عليه ربيع بن سليمان [١] ، فقام بالأمر من بعده صاحب الريف يحي بن إدريس بن عمر ابن إدريس ، فبايعه أهل العدوتين ، وخطب له فيها ، وفي سائر انحاء دولة الأدارسة [٢] ، وقد اكتسب يحي بن ادريس هذا شهرة عظيمة لدي بعض المؤرخين ، فقد وصفه ابن ابي زرع بانه : (أعلا بني ادريس قدراً وصيتاً ، وأطيبهم ذكراً ، وأقواهم سلطاناً ، وأوسعهم ملكاً ، واكثرهم عدلاً ، وأغزرهم كرماً ، وكان فقيهاً حافظاً للحديث ، ذا فصاحة وبيان ولسان ، ومع ذلك كان بطلاً شجاعاً حازماً ، ذا صلاح ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه) [٣] .

ولكن هذا الأمير الادريسي الذي تمتع بهذه الخصال الحميدة ، كان حظه عاثراً لأنه ظهر في الوقت الذي أذنت فيه شمس الأدارسة بالمغيب . فقد نجح الفاطميون آنذاك في القضاء علي دولة الأغالبة في إفريقية ، واعلان قيام دولتهم سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م [٤] ومن ثم عمل أول خلفائهم عبيد الله المهدي علي مد نفوذه علي بقية انحاء بلاد المغرب ، فأرسل قائده مصالة بن حبوس لغزو المغرب الأقصي

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٥ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٢ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٧٩ ، ٨٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٥ .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٠ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٥ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٠ .

(٤) انظر : النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ - ٢٩٩ / ادريس : عيون الأخبار ص ١٣٦ - ١٤٠/ حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٨٢ .

سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م فالتقي بأمير فاس يحي بن ادريس بالقرب من مكناس ، فحلت الهزيمة بيحي واضطر للعودة إلي فاس والتحصن بأسوارها ، فتبعه مصاله ، وضرب حصاراً علي المدينة إلي أن طلب يحي الصلح ، علي أن يخلع نفسه، ويبايع لعبيد الله ، ويؤدي إليه بعض الأموال (١) ، فقبل مصالة طاعته ، وابقي عليه ، وعقد له علي ولاية فاس ، بينما عقد لموسي بن أبي العافية علي بقية انحاء المغرب (٢) .

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٠ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٦ / ابو زكرياء : بغية الرواد ص ١٦٧ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٥ / ١٦٦ .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٠ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٠ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٦ .

ثانياً : صراع الأدارسة من أجل البقاء

باستسلام يحي بن ادريس للقائد الفاطمي مصالة بن حبوس واعلان خضوعه وطاعته لصاحب المهدية ، كان من الممكن أن نعتبر دولة الأدارسة قد انتهت من الناحية الرسمية ، خاصة بعد أن خلع يحي نفسه من الإمامه ، لكن بقاء هذا الإمام المخلوع في مدينة فاس ، والياً عليها ، كان يعني استمرار النفوذ الفعلي له في تلك المنطقة لما يتمتع به من حسن السمعة لفضله وعلمه ودينه . لذلك فعندما بدأ زعيم مكناسة الطموح ، وصاحب النفوذ القوي في المغرب الأقصي موسي بن أبي العافية يوسع من نفوذه ويمد سلطانه في مختلف الأنحاء ، وذلك بعد عودة مصاله إلي إفريقية ، اصطدم بهذا النفوذ ، فعمل علي ازالة هذه العقبة من طريقه لينفرد بأمر المغرب الأقصي .

لذلك ، انتهز موسي بن أبي العافية فرصة عودة مصالة بن حبوس إلي المغرب الأقصي في غزوته الثانية سنة ٣٠٩ هـ / ٢١ - ٩٢٢ م وسعي بيحي بن ادريس عنده ، حتي أوغر صدره ، فعزم مصالة علي القبض عليه ، فلما قرب من مدينة فاس ، خرج إليه يحي لاستقباله والترحيب به ، ومعه العسكر ووجوه القوم ، فقبض عليهم مصالة ، وقيد يحي بالأغلال . وبعد أن عذبه وأهانه واستصفي أمواله أطلق سراحه وأمر بنفيه إلي مدينة أصيلة ، فلجأ إلي أولاد عمومته في بلاد الريف ، بعد أن انفض الناس من حوله وساءت حالته ، فمنحوه بعض المال ليستعين به علي تصريف شئونه ، لكنه لم يرض بذلك وقرر الرحيل إلي إفريقية ، فتصدي له موسي بن أبي العافية وهو في طريقه إليها وقبض عليه ، وسجنه بمدينة لكاي [1] نحو عشرين

(١) هكذا ذكرها البكري ، اما ابن أبي زرع فقد ذكرها الكاي (المغرب ص ١٢٦ / الانيس المطرب ص ٨١ .

سنة [1] ، ثم أطلق سراحه ، فقصد إفريقية سنة ٣٣١ هـ / ٤٢ - ٩٤٣ م [2] حيث مات بمدينة المهدية جوعاً ، أثناء حصار أبي يزيد مخلد بن كيداد [3] للمدينة سنة ٣٣٢ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م [4] .

اما مدينة فاس ، فقبل أن يغادرها مصاله بن حبوس عائداً إلي القيروان ولي عليها ريحان الكتامي الذي ظل والياً عليها مدة ثلاث

---

(١) اختلف المؤرخون في المدة التي قضاها يحي بن ادريس في سجن موسي بن أبي العافية ، فذكر ابن ابي زرع انه مكث في السجن نحو العشرين سنة وتبعه في ذلك صاحب الاستقصا ، اما ابن خلدون فانه ذكر أن يحي قضي في السجن مدة سنتين (ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨١ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ / ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٦) .

(٢) البكري : المغرب ص ١٢٩ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ .

(٣) أبو يزيد مخلد بن كيداد : وهو من قبيلة بني يفرن الزناتية ، وكان أبوه تاجراً من أهل مدينة توزر ، وامه جارية هواريه تزوجها أبوه في السودان حيث ولد أبو يزيد ، فاتي به أبوه إلي مدينة توزر ، فنشا بها وتعلم القرآن ، وخالط جماعة من الخوارج النكارية ، فمال إلي مذهبهم، وكانت ثورته من أخطر الثورات التي واجهتها الخلافة الفاطمية في تلك الفترة ، وقد شكلت خطراً حقيقياً علي كيانها ، إلي أن تمكن الخليفة الفاطمي المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) من القضاء عليه سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م . (ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد ص ٢٠ - ٣٧ / سالم : المغرب الكبير جـ٢ ص ٦٢٢ - ٦٣١ / سرور : الدولة الفاطمية ص ٢٩ / محمود اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ص ٢٣٦ - ٢٥٤ / عفيفي محمود : الفتن الداخلية في بلاد المغرب ص ١٩ - ٢١ / O'Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate , P. 89 .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٨١ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ .

سنوات [1] ، إلي أن ثار عليه الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام [2] سنة ٣١٣ هـ / ٢٥ - ٩٢٦ م [3] واستولي علي فاس علي حين غفلة من أهلها ونفي ريحان عنها . فبايعه أهل المدينة ، ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر ، ثم مد نفوذه إلي المناطق المجاورة له ، فاستولي علي مدن لواتة وصفرو ومديونة

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد مدة ولاية ريحان الكتامي لمدينة فاس ، فذكر البكري انها تسعة أعوام ، بينماذكر الناصري انها ثلاثة اشهر ، اما ابن ابي زرع وابن خلدون فقد أجمعا علي أنه ظل والياً علي المدينة لمدة ثلاثة أعوام ، وقد أخذنا بالرواية الأخيرة لأنها الأرجح (البكري : المغرب ص ١٢٦ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٨١ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦/ الناصري : الاستقصا ، جـ١ ص ١٦٧ .

(٢) الحجام : ولقد لقبه بهذا اللقب عمه أحمد بن القاسم ، وذلك عندما وقع خلاف بينهما ، فحمل الحسن علي غلام لعمه فطعنه في موضع الحجم ، وفعل ذلك بثان وثالث ، دون أن يخطئ ، فقال عمه : قد صار ابن أخي حجاماً . وفي ذلك يقول الشاعر :

وسميت حجاماً ولست بحاجم .. ولكن لضرب في مكان المحاجم

(البكري : المغرب ص ١٢٦ ، ١٢٧ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٣ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٢ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١١ ، ٢١٢ / التنسي : نظم الدر ص ٤٨) .

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ثورة الحسن الحجام وبداية امارته ، فجعلها البكري في سنة ٣١٦ هـ كما جعلها ابن عذاري والناصري في سنة ٣١٠ هـ . ولأنه من المتفق عليه أن مصاله بن حبوس قد وفد إلي بلاد المغرب الأقصي في غزوته الثانية سنة ٣٠٩ هـ وبما أن ريحان الكتامي قد ظل والياً علي فاس ثلاث سنوات فإن التاريخ الذي ذكره ابن خلدون (٣١٣ هـ) هو أرجح هذه الأراء . (البكري : المغرب ص ١٢٦ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٣ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٦٧) .

ومكناسة والبصرة ، فاستقام أمره في تلك المناطق الي أن وقع بينه وبين موسي ابن أبي العافية خلاف أدي إلي نشوب الحرب بينهما ، فزحف إليه الحسن والتقي الجمعان في قتال عنيف في مكان يعرف بفحص الزاد علي مقربة من وادي المطاحن ، بين فاس وتازي ، انتهي بهزيمة موسي ومقتل أكثر من ألفي رجل ، من بينهم ابنه منهل (١) .

وأغلب الظن ان الانتصار الذي حققه الحسن لم يكن حاسماً لأن ابن خلدون يذكر : أن الحسن قد مني بعد ذلك بهزيمة ، فر علي أثرها إلي فاس (٢) . مما دفع عامله علي عدوة القرويين حامد بن حمدان الهمداني الأوربي إلي الانحياز إلي جانب المنتصر ، وذلك عندما دخل علي الحسن ليلاً في داره وقيده بالحديد ، ثم قام باغلاق أبواب المدينة في وجه جيشه ، وأرسل إلي موسي بن ابي العافية يخبره بما يحدث ، ويطلب منه القدوم لاستلام المدينة (٣) .

سارع موسي بن أبي العافية بالمسير إلي فاس ، فدخل عدوة القرويين ، وطلب من حامد أن يسلمه الحسن ليقتله (٤) ، ولكن يبدو أن حامد تيقظ إلي خطورة الخيانة التي ارتكبها والتي توشك أن تتحول إلي جريمة قتل وسفك دماء أحد أفراد أهل البيت ، لذلك قرر أن يطلق سراحه ، فذهب إليه ليلاً وأزال عنه قيوده ، وأدلاه من

---

(١) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٣ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٨٢ / ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ١٦ / التنسي : نظم الدر ص ٤٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٣ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٨٣ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ / التنسي : نظم الدر ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) نفس المصادر السابقة .

سور المدينة ، فسقط ، وكسرت ساقه ، ولكنه تحامل على نفسه حتى وصل إلى عدوة الاندلسيين ، فمات هناك مستخفياً بعد ثلاثة أيام من هروبه [1] ، وذلك سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م [2] .

بمقتل الحسن الحجام ، انتهت دولة الأدارسة في مدينة فاس ، وخضعت املاكهم لموسي بن أبي العافية ، الذي أخذ في مطاردتهم في كل مكان ، فأجلاهم عن مواطنهم في شالة وأصيلا وغيرهما من المدن التي كانوا يقيمون فيها إلي أن أجبرهم علي اللجوء إلي حصن بالغ الارتفاع في منطقة الريف يسمي حجر النسر [3] ، وهناك وضع جيشاً لمحاصرتهم بقيادة أبي الفتح التسولي ، لمنعهم

---

(١) نفس المصادر السابقة .

(٢) كما يوجد خلاف أيضا فيما يتعلق بتاريخ وفاة الحسن الحجام ، وبما أننا رجحنا تاريخ سنة ٣١٣ هـ لثورة الحسن واستيلائه علي فاس ، وان امارته سنتين كما ذكر ابن عذاري وابن ابي زرع وابن خلدون ، فاغلب الظن أن وفاته كانت سنة ٣١٥ هـ (ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٣ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٢ /ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦) .

(٣) حجر النسر : وهي قلعة في منطقة الريف من أرض غمارة بناها ابراهيم بن محمد بن القاسم ابن ادريس سنة ٣١٧ هـ / ٢٩ - ٩٣٠ م . وهي علي مسيرة ثلاثة أيام من سبتة علي قمة جبل وعر ، وإنما يرقي إليها بطريق غاية في الضيق فلا يمر منه في وقت واحد إلا شخص واحد ، وكانت تحيط بها أرض خصبة تغطيها الحدائق ، ولا نعرف موقعها علي وجه التحديد الآن ، علي أن البيانات التي جمعها بعض الباحثين تدل علي أن اطلال القلعة مازالت قائمة تحمل اسم حجرة النسور في ناحية جنان مجبر بين البرانس والدسول (التسول) (ابن حوقل : صورة الأرض ص ٨١ ، ٨٢ ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٤ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث . هامش ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ / دائرة المعارف الاسلامية - مادة حجر النسر / أحمد المكناسي : المدن الاسلامية المندثرة ص ٨ ، ٩) .

من التصرف [1] .

اما امراء الادارسة الذين كانوا يسكنون بعض القلاع في جبال الريف شمال المغرب الأقصي ، والتي كانت تخضع لنفوذهم بعض الثغور البحرية مثل طنجة وسبتة ، كان هؤلاء الأدارسة من بني محمد وبني عمر يخضعون لعبيد الله المهدي منذ حملاته الأولي علي المغرب الأقصي [2] . غير أن أبناء محمد منهم من بني سليمان [3] وعلي رأسهم ادريس بن ابراهيم بن عيسي بن محمد بن سليمان صاحب مدينة ارشقول خالفهم في ذلك وقام بمكاتبة الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) للدخول في طاعته وذلك سنة ٣١٦ هـ / ٢٨ - ٩٢٩ م [4] . ثم تبعه ابن عمه القاسم بن ابراهيم في العام التالي (٣١٧هـ / ٢٩ - ٩٣٠م) فتقبل الناصر لدين الله ولاءهما وأحسن إليهما وأجزل لهما العطاء [5] ، كما لحق بهما في عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م الحسن بن

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٧ ، ١٢٨ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١٤ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٨٤ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ .

(٢) فيلالي : العلاقات السياسية ص ١٤٥ .

(٣) وهم ينسبون إلي سليمان بن عبد الله أخي الامام ادريس الأول ، ومن الذين نجوا من موقعة فخ سنة ١٦٩ هـ وتمكن كأخيه ادريس من الفرار إلي بلاد المغرب حيث لحق بمدينة تلمسان فملكها ودعا لنفسه ، فاستجابت له قبيلة زناته وسائر قبائل البربر آنذاك ، وبعد وفاته ورث ملكه ابنه محمد بن سليمان ، ثم افترق بنوه من بعده علي ثغور المغرب الأوسط فاقتسموا نواحيه (ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٦ ، ١٧) .

(٤) ابن حيان : المقتبس جـ٥ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ / ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٥ .

(٥) نفس المصدر جـ٥ ص ٢٦٥ .

عيسي عندما أعلن ولاءه للناصر لدين الله والدخول في طاعته [1] .

ويبدو أن مطاردة موسي بن أبي العافية وملاحقته لامراء الادارسة ومحاولته اقتلاع جذورهم من جميع انحاء بلاد المغرب قد دفعت هؤلاء الامراء للاحتماء بالناصر لدين الله ، خاصة بعد أن شعروا بعدم جدوي ولائهم للدولة الفاطمية التي عجزت عن كف عدوان موسي بن ابي العافية عنهم .

وبينما كانت الأحداث تتوالي علي أرض العدوة المغربية ، كان الخليفة الناصر لدين الله يراقب عن كثب تطور هذه الأحداث باهتمام بالغ بعد أن أقلقه النشاط الفاطمي في تلك المنطقة [2] ، لذلك عندما شعر بخطورة الموقف ، قرر التدخل المباشر بالاستيلاء علي الثغور المطلة علي جبل طارق ، حتي يتمكن من السيطرة علي الملاحة في هذا المضيق ، وأن يتخذ من هذه الثغور قواعد عسكرية للانطلاق منها نحو المغرب الأقصي للسيطرة [3] .

لذلك استغل الناصر لدين الله ضعف سلطان الادارسة في منطقة الريف بوجه خاص وفي المغرب الأقصي بوجه عام وقام بارسال اسطول بحري إلي مدينة سبتة ، التي كانت خاضعة آنذاك لادارسة الريف ، بقيادة امية بن

---

(١) نفس المصدر جـ٥ ص ٢٦٥ .

(٢) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية جـ٢ ص ٨٥ / العبادي : سياسة الفاطميين ص ٢٠٧ .

(٣) يذكر الاستاذ الدكتور محمود اسماعيل أن عبد الرحمن الناصر تدخل في شؤون المغرب الأقصي لا خوفاً من غزو فاطمي وشيك للأندلس بقدر الجيلولة دون هيمنتهم علي موارد التجارة السودانية (الأدارسة ص ١٦٠) .

اسحاق القرشي عاملة علي الجزيرة الخضراء [1] ، فدخلها بدون مقاومة بعد أن سلمهاله صاحبها الرضي بن عصام [2] في صدر ربيع الأول سنة ٣١٩ هـ / مارس ٩٣١ م [3] .

فلما علم الادارسة من بني محمد باحتلال الناصر لدين الله لمدينة سبتة ، التابعة لهم ، سارع أميرهم ابراهيم بن محمد إلي جمع رجاله ومن يواليه من قبائل البربر وزحف بهم علي المدينة ، فتصدي لهم جند الناصر المرابطون في المدينة واجبروهم علي الانسحاب والعودة إلي معاقلهم في بلاد الريف [4] ، فأدرك بنو محمد صعوبة التغلب علي حامية الحصن واعادة مدينة سبتة إلي سيادتهم ، فقرروا الاعتراف بالأمر الواقع والكتابة إلي الناصر لدين الله يعتذرون له علي ما بدر منهم ، مدعين أن البربر غرروا بهم ودفعوهم إلي مهاجمة سبتة [5] بعد أن

---

(١) الجزيرة الخضراء (Algeciras) : مدينة ساحلية صغيرة في جنوب الاندلس بجوار جبل طارق من الناحية الغربية ، وهي أول موضع نزل فيه طارق بن زياد عندما غزا الاندلس واتخذ منها قاعدة عسكرية (الادريسي : نزهة المشتاق ص ٢٦٣ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام – القسم الثالث . هامش . ص ٢١٩)

(٢) حسبما يذكر ابن حيان فان أهل مدينة سبتة هم الذين ارسلوا وفداً إلي الناصر لدين الله يطلبون منه (انفاذ عامله وقوته إلي بلدهم) وهذا يفسر موقف صاحب المدينة من تسليمه إياها إلي قائد الاسطول الاندلسي دون قتال (انظر المقتبس جـه ص ٢٨٩) .

(٣) وهذا ما ذكره كل من ابن حيان (المقتبس جـه ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) وابن عذاري (البيان جـ٢ ص ٢٠٤) بينما يخالفهما ابن خلدون حين يذكر أن فتح الناصر لدين الله لمدينة سبته تم سنة ٣١٧ هـ (العبر جـ٧ ص ٢٥) .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، جـه ، ص ٢٩١ .

(٥) نفس المصدر ، جـه ص ٢٩١ .

أخبروهم أن عامل الجزيرة الخضراء قد قام إلي مدينة سبتة (من ذاته دون إذنك ولا مذهبك) [1] فاظهر الناصر لدين الله تصديقهم ، وقبل عذرهم ، حرصا منه علي (استصلاحهم وتسكين نفرتهم ، وصلة أرحامهم) [2] وبعث اليهم رسولاً من قبلة هو محمد بن عبد الله بن أبي عيسي ، قاضي جيان ، فالتقي بهم ، وسكن روعهم ، وأخذ البيعة للناصر لدين الله ، وذلك في آخر جمادي الآخرة من نفس العام (٣١٩ هـ / يوليه ٩٣١ م) [3] .

أما الجماعة الثانية من أدارسة الريف ، وهم أبناء عمر بن ادريس الذين كان علي رأسهم آنذاك ابراهيم بن ادريس بن عمر ، فقد كان منافساً لبني محمد علي زعامة البيت الادريسي والمغرب الأقصي [4] . لذلك استغل زعيمهم أحداث مدينة سبتة واستنكر موقف ابناء عمومته من هذه الأحداث ، وحاول التقرب من الخليفة الناصر لدين الله علي حسابهم ، فأرسل إليه يهنئه بما أحرز من نصر ، وندد بموقف أبناء عمومته من بني محمد ، ومع هذه الرسالة بعث بنو عمر بيعتهم للناصر لدين الله [5] . وكان علي رأس هؤلاء المبايعين ابراهيم وعيسي وأبو العيش بنو ادريس بن عمر بن ادريس ، وابن عمهم يحي بن محسن بن محمد بن القاسم ، بالاضافة إلي حلفائهم

---

(١) نفس المصدر ، جـ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٥ ص ٢٩١ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٥ ص ٢٩٧ .

(٤) نفس المصدر ، جـ٥ ص ٢٩٤ .

(٥) نفس المصدر جـ٥ ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

من رؤساء قبائل غمارة [1] ، وذلك في شهر رجب سنة ٣١٩ هـ / يوليه ٩٣١ م [2] .

وهكذا ، وبدلاً من أن يتكاتف أمراء الأدارسة لاسترداد ملكهم والوقوف صفاً واحداً أمام اعدائهم الذين تكالبوا عليهم لاقتلاع جذورهم من المغرب الأقصي ، نجدهم قد انقسموا علي أنفسهم ودب الشقاق والتنافس فيما بينهم علي الزعامة والسلطان ، فسارع كل فريق منهم علي تقديم فروض الطاعة والولاء للخليفة الناصر لدين الله لكسب تأيده وتحريضه علي الفريق الآخر .

وفي هذه الأثناء كان موسي بن أبي العافية مستمراً في مطاردته للأدارسة في المغربين الأقصي والأوسط ، فقد نهض إلي تلمسان ومديونه وجراوة [3] في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م فاستولي عليها بعدما تغلب علي صاحبها الحسن بن أبي العيش بن عيسي بن ادريس ، الذي هرب إلي مدينة مليلة من نواحي ملوية [4]

---

(١) نفس المصدر جـ٥ ص ٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر : جـ٥ ص ١٩٧ .

(٣) جراوة : قبيلة ومدينة كانت تقع شرقي المغرب الأقصي بالقرب من مدينة تلمسان ، وقد وصفها البكري بانها كانت مدينة عامرة أسسها أبو العيش عيسي بن ادريس في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري . (البكري : المغرب ص ١٤٢ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث . هامش ص ٢١٣ ، ٢١٤) .

(٤) ملوية : بفتح الميم وسكون اللام وكسر الواو ، وهو من أعظم أنهار بلاد المغرب ، ينحدر بين الأطلسين الكبير والمتوسط ، ويصب في البحر المتوسط بين وجدة ومليلة . وهو الحد السياسي الفاصل بين الجزائر والمغرب الأقصي . (البكري : المغرب ص ٨٩ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث . هامش ص ٢١٥) .

للتحصن بها (١) .

فلما علم عبيد الله المهدي بخروج ابن ابي العافية عن طاعته ، ارسل إليه سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م حميد بن يصل ، صاحب تاهرت ، وابن أخي مصاله بن حبوس ، علي رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل ، فالتقي بابن ابي العافية وأعوانه في فحص مسون (٢) ، وانتهت المعركة بفرار الأخير إلي بلاد تسول ، وعودة حميد إلي افريقية بعد أن عين أحد أعوانه علي مدينة فاس (٣) .

غير أن الأوضاع في المغرب الأقصي عادت إلي سابق عهدها من الثورة والعصيان علي الدولة الفاطمية بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م فاضطر ابنه ابو القاسم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) إلي ارسال قائده ميسور الفتي في مستهل سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م إلي تلك الانحاء ، وهناك خاض ميسور معارك طاحنة مع ابن ابي العافية وحلفائه من البربر ، اجبره في نهايتها علي

---

(١) ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٠٤ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٤ . ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٣ ، ٢١٤ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ١٣٥ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٠ .

(٢) مسون : وهي بلدة في شرق مدينة تازة (ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث : هامش ص ٢١٥) .

(٣) البكري : المغرب ص ١٢٨ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٥ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢١٥ ، ٢١٦ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ١٣٥ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧١ .

الاعتصام بالصحراء[1] .

وقد انتهز الادارسة من أبناء محمد وعمر انشغال ابن ابي العافية في صراعه مع ميسور وحاولوا استرداد بعض ما فقدوه في حروبهم معه ، فوجهوا قواتهم إلي مدينة أصيلا لاحتلالها[2] ، فلما علم ابن ابي العافية بتحركهم هذا ، كتب إلي محمد بن حزب الله[3] ، صاحب سبته ، يدعوه إلي ارسال بعض قطع الأسطول لمهاجمة مدينة تيجساس[4] ، الخاضعة لسلطان الأدارسة ، ونهبها ، عقابا لهم علي هذا الهجوم[5] ، غير أن ابن حزب الله رفض طلبه هذا بزعم : (أن الادارسة بعد موادون للسلطان)[6] . فأرسل ابن أبي العافية كتابا إلي الناصر لدين الله يشكو فيه صاحب سبته وتخاذله في محاربة الادارسة الذين انضموا إلي ميسور وخرجوا عن طاعة الخليفة ، وفي كتابه هذا يقول : (وبالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، أن ابراهيم بن ادريس كبيرهم وشريفهم بعسكرهم لعند الخصي ميسور ، مازال ولا برح إلي هذه الغاية ، وأن ابن

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٨ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٨٥ ، ٨٦ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢١٦ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ١٣٥ ، ١٣٦ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨٣ ، ١٨٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٢ .

(٢) ابن حيان : المقتبس جـ٥ ص ٣٤٩ .

(٣) وحسبما يذكر ابن عذاري فقد ولي مدينة سبته سنة ٢٢٣ هـ (البيان جـ١ ص ٢٠٤) .

(٤) هكذا ورد الاسم في المقتبس جـ٥ ص ٣٥٠ .

(٥) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٥٠ .

(٦) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٥٠ .

حزب الله لخدوع كثير الطمأنينة لم يحكم معاملة البربر ، فليكن من أمير المؤمنين إليه تبصرة) (١) .

ويبدو أن هذا الكتاب لم يجد رد الفعل الذي كان يرجوه ابن ابي العافية من الناصر لدين الله الذي يعتقد انه كان حريصاً آنذاك علي مداراة الادارسة خوفاً من انضمامهم إلي جيوش ميسور ، لذلك نجد أن ابن ابي العافية قد ارسل كتاباً آخر إلي قرطبة يؤكد فيه ما سبق ذكره من تحول الادارسة بفخذيهم بني محمد وبني عمر إلي اعدائهم الفاطميين وإلي هذا يشير ابن حيان بقوله : (والذي يريد أمير المؤمنين ، سيدي ، من إعلامي إياه ما نحن فيه مع المشارقة ، أهلكهم الله ، وقطع مدتهم ، فانهم مشوا إلينا إلي لكاي ، ومعهم الأدعياء من بني إدريس ، بنو محمد وبنو عمر ، المعروفون ببني ميالة إخوتهم ، بعساكرهم كلها ، فكان بيننا وبينهم قتال مازني مثله في غرينا اليوم) (٢) .

ومن جديد تتوالي الكتب من ابن ابي العافية علي قرطبة يحث فيها الناصر لدين الله علي ارسال الجيوش إلي العدوة المغربية لردع هؤلاء الادارسة وتخويفهم (٣) .

غير أن الادارسة من بني عمر سرعان ما عادوا إلي المناورة لقطع الطريق علي ابن أبي العافية ، وإفساد سعايته ، فأرسل رؤساؤهم ابراهيم وأبو العيش

---

(١) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٥٠ .

(٢) ابن حيان : المقتبس جـ٥ ص ٣٧١ .

(٣) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٨٤ .

كتاباً إلي قرطبة يجددون البيعة للناصر لدين الله ويتبرأون من التهمة التي وجهت إليهم من الانضمام إلي جيوش ميسور (١) .

أما أولاد عمومتهم من بني محمد ، فيبدو أنهم قد قطعوا شوطاً بعيداً في موالاة الشيعة ومساعدتهم في حروبهم ضد ابن ابي العافية حتي انهم لم يستطيعوا نفي التهمة عنهم ، فأرسل زعيمهم ابراهيم بن محمد الحسني كتابا إلي الناصر لدين الله يعتذر فيه عما بدر من قومه ، ويطلب منه العودة إلي طاعته والدخول في دعوته ، ويرجع موقفهم هذا إلي (مداهنة المشارقة لضرورة شديدة ، حمتهم إلي ذلك ، استدفعوا به مكروههم، واستكفوا به شرهم وذادوا به عن حرمهم ونعمهم) (٢) وقد حاول الزعيم الادريسي أن يبرهن علي صدق نيته في كتابه هذا برغبته (في مسالمة موسي بن أبي العافية ، ولي أمير المؤمنين ، والتماسهم مؤالفته علي طاعته ، مطرحين الأحقاد بينهم وبينه ، علي فرط ما نالهم من ضره ، وشملهم من خوفه) (٣) فاستجاب الناصر لدعوتهم (٤) .

وبالرغم مما عبر عنه الادارسة في رسائلهم إلي الناصر لدين الله من صدق ولائهم له ، فانهم كانوا غير مخلصين في قولهم هذا ، فقد أرسل مدين ابن موسي بن أبي العافية ، أثناء مرض والده (٥) ، كتابا إلي الناصر لدين الله

(١) ابن حيان : المقتبس جـ٥ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٩٠ .

(٣) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٩٠ .

(٤) نفس المصدر جـ٥ ص ٣٩٠ .

(٥) وقد توفي موسي بن أبي العافية علي اثر مرضه هذا في ذي الحجة من سنة ٣٢٦ هـ / اكتوبر ٩٣٨ م (ابن حيان : المقتبس جـ٥ ص ٤٢٧) .

يندد فيه بغدر الادارسة من بني عمر وتحالفهم مع بني عمومتهم من بني محمد لحربه (١) .

فلما بلغ أمراء الأدارسة من بني محمد وبني عمر سعاية مدين بن موسي لدي الناصر لدين الله ارسلوا كتبهم إليه ، ينكرون ما ألصق بهم من تهم ، ويؤكدون رغبتهم في قبول طاعتهم ، غير أن الناصر لدين الله ، الذي عاني الكثير من عصيانهم ونكث عهودهم ، اعرض عنهم ولم يصغ إلي أقوالهم (٢) .

ومن ثم استمر أدارسة الريف في صراع دائم مع القوي السياسية القائمة في المغرب الأقصي والوافدة عليه يهاجمون تارة ويناورون تارة أخري مستغلين آنذاك الظروف السياسية القائمة في المنطقة لصالحهم ، فقد انضموا - كما رأينا - إلي قائد الجيوش الفاطمية ميسور في قتاله ضد عدوهم موسي بن ابي العافية ، وقد نجحوا في استغلال هذا التحالف في اعادة بناء كيان سياسي جديد لهم في منطقة الريف .

---

(١) نفس المصدر جـ٥ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٢) نفس المصدر جـ٥ ص ٤٢٧ .

ثالثاً: إحيـــاء دولـــة الأدارســـة

١- دولـــة كنـــون وأبـــي العيـــش

وهكذا وبعد فقد الادارسة لملكهم في مدينة فاس ومطاردة موسي بن أبي العافية لهم ، لجأ الكثير منهم إلي منطقة الريف ، فلما استعادوا بعض ما فقدوه بعد غزو ميسور للمغرب الأقصي وتحالفهم معه ، عادوا إلي ممارسة الحكم من خلال امارات صغيرة (١) ، كان أهمها إمارة البصرة التي كان ابراهيم بن محمد بن القاسم قد لجأ إليها ، فلما مات ابراهيم آلت الرياسة إلي أخيه القاسم الملقب بكنون ، الذي اجتمع حوله الأدارسة وبايعوه ، فملك انحاء كثيرة من المغرب الأقصي ، فعقد له ميسور عليها ، وعلي ما يفتحه من بلاد عدا مدينة فاس (٢) ، وذلك مكافأة له علي ما قدمه من عون ومساعدة لجيوش الفاطميين ، فاتخذ حجر النسر عاصمة له ، واستمر أميراً عليها إلي أن توفي سنة ٣٣٧ هـ / ٤٨ - ٩٤٩ م (٣) فولي بعده ابنه أبا العيش أحمد بن

---

(١) أما بنو عمر فقد عاشوا في كنف قبائل غمارة وهناك أقاموا امارة لهم حظيت بحماية هذه القبائل ومساندتها . (انظر ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢١٦ - ٢١٨) .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٧ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٨ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٧ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٧ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٧ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٨ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٧ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٧٧ .

كتون [1] .

وكان أبو العيش هذا فقيهاً ورعاً حافظاً للسير عارفاً لأخبار الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر شجاعاً جواداً ، وكان يعرف بين بني إدريس بأحمد الفاضل [2] ، ولخصاله هذه بايعه (كافة أهل المغرب إلي سجلماسة) [3] .

ويبدو أن انشغال الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، والتي كانت علي أشدها آنذاك ، قد دفعت أبا العيش إلي قطع الخطبة له والدعاء علي جميع منابره للناصر لدين الله ، غير أن الأخير لم يكتف بهذا ، بل اشترط عليه أن يسلمه مدينة طنجة فرفض أبو العيش طلبه هذا ، ولكن عندما هاجمه اسطول الناصر ومقاتليه ، وضيقوا عليه الخناق ، شعر انه لا طاقة له علي مواجهة هذه الحشود ، فاضطر إلي تسليم المدينة [4] .

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٧ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٨ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٧ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / التنسي : نظم الدر ص ٥١ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٧٨ .

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٨٧ ، ٨٨ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٨ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٧ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٧٨ .

(٣) الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٨ .

(٤) انظر : ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٨ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٨ ، ٢١٩ / ابن خلدون : العبر جـ١ ، ص ٢١٨ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٧٨ .

وبينما بدأ نفوذ الأمويين يزداد ، وسلطانهم يمتد تدريجيا علي معظم أجزاء المغربين الأقصي والأوسط ، حتي خطب لهم علي جميع منابرها ، عدا مدينة سجلماسة [1] ، كان أبو العيش مع إخوته وأبناء عمومته يقيمون في حاضرتيهما البصرة وأصيلا يشعرون بضعفهم وعدم القدرة علي مجابهة الأخطار التي تحيط بهم . فكانوا يلتمسون العون من الناصر لدين الله اذا احتاج الأمر ، ويشير الناصري إلي حالتهم هذه بقوله : (وكانت قواد الناصر وجيوشه تجيز من الأندلس إلي العدوة ، يقاتلون من خالف الأدارسة من البربر ويستألفونهم ، والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقوٍلن ضعف بماله) [2] .

وهكذا تغلب الناصر لدين الله علي العدوة المغربية ، فازداد وضع أبي العيش سوءاً بعد أن فقد النفوذ وهيبة السلطان ، فانف تلك الرياسة [3] ، وكتب إلي الناصر لدين الله يستأذن في الحضور للأندلس للجهاد ، فأذن له ، وأمر أن يبني له في كل منزل ينزل فيه قصراً ، أثناء رحلته من الجزيرة الخضراء حتي الثغر ، والتي كان عددها ثلاثين منزلاً ، وأن يخصص للإنفاق عليه كل يوم ألف دينار ، غير الفرش والأثاث والطعام [4] . وقد سار أبو

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٨ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٨ / الناصري: الاستقصا جـ١ ص ١٧٩ .

(٢) الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٩ .

(٤) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٩ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٩ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٨ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٧٩ .

العيش وسط هذا الترحيب الأموي إلي أن وصل إلي محلة بلاط حميد في أقصي الثغر [1] حيث استشهد أثناء جهاده للممالك المسيحية سنة ٣٤٨ هـ / ٥٩ - ٩٦٠ م [2] .

(١) البكري : المغرب ص ١٢٠ .

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ جواز أبي العيش إلي الأندلس واستشهاده . فقد ذكر البكري : أن أبا العيش قد استأذن الناصر لدين الله في الجواز إلي الأندلس سنة ٣٣٢ هـ . وانه فيما يبدو قد سافر بعدها بقليل تلبية لرغبة الناصر الذي كان يحثه علي القدوم . اما ابن الخطيب فقد ذكر : أن أبا العيش قد قدم إلي الأندلس مجاهداً في آخريات سنة ٣٤٦ هـ ، كما ذكر أبو زكرياء يحي أن عبوره إلي الأندلس كان سنة ٣٤٧ هـ . (البكري : المغرب ص ١٢٠ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢١٩ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨) . اما تاريخ استشهاد أبي العيش فقد ذكر ابن ابي زرع انه توفي سنة ٣٤٣ هـ ، وقد تبعه ابن خلدون في ذلك . ولكن من المرجح انه قد توفي سنة ٣٤٨ هـ كما ذكر الناصري ، وكما ذكرنا اعلاه من تواريخ البنواز التي ترجح ما ذهبنا إليه . (ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٩ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ، ص ٢١٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٧٩ .

٢- دولة الحســـن بـــن كنـــون

ولما ولي الحسن بن كنون خلفاً لأخيه أبي العيش ، ظل علي ولائه للخليفة الناصر لدين الله [١] الذي كان قد نجح في فرض نفوذه وسلطانه علي معظم انحاء المغرب الأقصي ، مما دفع المعز لدين الله إلي ارسال قائده جوهر الصقلي في سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م إلي هناك علي رأس جيش كبير يبلغ عشرين ألف فارس من صنهاجة وكتامة وتلكانة وغيرهم ، لاعادة الأمور إلي نصابها ، فزحف إلي مدنها ومعاقلها ، فاستولي عليها ، وأجبر القبائل الموالية للخليفة الناصر من زناته وغيرها علي الفرار أمامه . ثم عاد إلي المهدية سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م عقب هذه الحملة المظفرة التي دامت ما يقرب من ثلاثين شهراً [٢] .

ولكن من الجدير بالتنويه هنا ، هو موقف الحسن بن كنون من حملة جوهر هذه ،فيذكرابن أبي زرع ان الحسن قد نقض طاعة الناصر ، وبعث بطاعته إلي جوهر ، فلما عادت جيوشهم إلي افريقية راجع موقفه واعاد بيعته للناصر مرة أخري [٣] .

ومن الملاحظ ان موقف الحسن المتأرجح هذا بين القوتين المتنازعتين ،

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٩ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٠ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٠ .

(٢) مجهول : مفاخر البربر ص ٤ ، ٥ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٨٩ /ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٠ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري الاستقصا جـ١ ص ١٨٠ - ١٨٢ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩١ .

سيواجهه مرة أخري عندما يتولي بلكين بن زيري مقاليد الأمور في إفريقية (٣٦١ – ٣٧٣ هـ / ٩٧٢ – ٩٨٣ م) ويوجه حملته الشهيرة إلي بلاد المغرب [١] ، فقد كان الحسن أول من سارع إلي بيعته ونصرته [٢] . ولم يكتف بهذا القدر كما فعل مع حملة جوهر الصقلي . بل ذهب إلي أبعد من ذلك عندما أقدم علي (قتل أولياء المروانين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب) [٣] . ويفسر لنا ابن أبي زرع هذا التأرجح في موقف الحسن بن كنون تجاه الناصر وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) إلي أن ميوله هذه لم تكن عن حب صادق لهما ، وانما كانت عن خوف منهما ، لقرب بلاده من الأندلس [٤] ، وهذا ما يؤكده لنا أيضا ابن الخطيب عندما ذكر أن الحسن كان (مستمسكا بدعوة الناصر ثم بدعوة ولده اضطراراً) [٥] .

وهكذا كشف الحسن بن كنون عن وجهه السافر ، واتخذ موقفاً أكثر صراحة من هذا النزاع الدائر بين القوتين المتنازعتين ، مما أغضب الحكم المستنصر واشتد

---

(١) بعد أن استقامت الامور لبلكين بن زيري في إفريقية خرج بحملته هذه في شهر شعبان سنة ٣٦٢ هـ / مايو ١٩٧٣ م متوجهاً إلي المغرب الأقصي ، بجموع من صنهاجة لحسم دائه والقضاء علي النفوذ الاموي فيه (ابن خلدون : العبر جـ٦ ص١٥٥ عفيفي محمود : بنو زيري ص ٢٠) .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثالث ص ٢٢١ .

(٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٩١ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٠ .

غيظه ، فاسرع في تعبئة جيوشه وأساطيله ، واستدعي وزيره محمد بن قاسم بن طملس [1] في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ / يونيه ٩٧٢ م [2] وأمره بالتهيؤ لقيادة الجيش والإبحار به إلي مدينة سبته ، لقتال الحسن بن كنون [3] ، وأوصاه بتقوي الله ، والأخذ بالعفو والصفح ، واصلاح البلاد ، والاستعانة بمن يدخل في طاعته ، ويوفي ببيعته وعهده [4] .

وبعد ما زود الحكم وزيره ابن طملس بالأموال والخلع ، خرج الأخير يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من رمضان وحوله عدد كبير من طبقات الجند ، وبين يديه العدد والاثقال (ما يتجاوز الوصف ويملأ الأعين) [5] فركب البحر من الجزيرة الخضراء يوم السبت لاحدي عشرة ليلة بقيت من شوال من نفس العام إلي مدينة سبته [6] ، وبرفقته سفن الاسطول بقيادة عبد الرحمن بن

---

(١) ابن حيان : المقتبس ٧٩ / ابن عذاري : البيان جـ ٢ ص ٢٤٤ / مجهول : مفاخر البربر ص ٨ ، ٩ / ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٩١ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ص ٧٩ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٤ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ص ٧٩ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٤ / ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩١ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ص ٧٩ ، ٨٠ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٥ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ص ٨٠ / انظر : ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٥ .

(٦) أخذنا برواية ابن حيان وابن عذاري في تحديد تاريخ عبور ابن طلمس إلي سبته ، وهو التاريخ المذكور أعلاه ، بينما ذكر كل من ابن أبي زرع ويحي بن خلدون وابن الخطيب أن عبور ابن طلمس كان في شهر ربيع الأول من سنة ٣٦٢ هـ (ابن حيان : المقتبس ص ٧٩ ، ٨٠ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٥ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩١ / ابو زكرياء : بغية الرواد ص ١٦٨) .

رمحاس [1] .

فلما وصلت الجيوش البرية والبحرية إلي هناك ، اتجه ابن طلمس إلي تطوان فوجدها خالية ، فدخلها دون مقاومة [2] .

ثم اتجه إلي طنجة ، التي لجأ إليها الحسن بن كنون ، فوجد ان ابن رمحاس قد سبقه إليها بأسطوله ، فحاصراها ، فلما أدرك الحسن عدم جدوي المقاومة ، قرر الفرار مع بعض اصحابه وخاصته ، فاضطر أهل المدينة إلي الاستسلام . وخرج شيخهم ابن الفاضل علي رأس أعيان المدينة لتسليمها إلي قائد الاسطول ابن رمحاس ، فقدموا له فروض الطاعة والولاء ، وطلبوا الأمان لهم ولأهل مدينتهم ، فأعطاهم إياه ، ولكنه استباح ممتلكات الحسن واصحابه عند دخوله المدينة في ذي القعدة سنة ٣٦١ هـ اغسطس ٩٧٢ م [3] .

واصل ابن طلمس تعقبه لفلول الحسن بن كنون في المناطق الجبلية التي لجأ إليها ، واشتبك معه في معركة عنيفة استمرت (من ضحي النهار إلي اصفرار الشمس) [4] واسفرت هذه المعركة عن هزيمة الحسن ومقتل مائتين من قواته ، وفراره مع من بقي من اتباعه ، واعتصامه بجبل حصين يدعي جبل الريح ، فتبعته القوات الاندلسية مرة أخري ونجحت في اخراجه من معقله ، والاستيلاء علي

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص ٨٠ ، انظر : ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ص ٨٠ ، ٨١ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ص ٨٩ ، انظر : ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٥ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ص ٩٠ .

أثقاله [1] .

ثم توجه ابن طلمس إلي مدينة دلول فاستولي عليها ، ومنها واصل زحفه إلي مدينة أصيلا فدخلها ، ووجد في مسجدها منبراً جديداً ومرسوماً باسم المعز لدين الله الفاطمي ، فأمر باحراقه ، بعد أن خلع منه القطعة المنقوش عليها اسم المعز ، وقام بارساله إلي قرطبة [2] .

وبالرغم من هذه الهزائم المتتالية التي لحقت بقوات الحسن بن كنون ، فقد نجح في تجميع قواته من جديد ، وتوجيه ضربة مباغته إلي القوات الأندلسية ، في معركة وقعت في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ١ يناير ٩٧٣ م [3] في موضع يعرف بفحص مهران [4] ، قتل فيها القائد محمد بن القاسم بن طملس [5] ونحو خمسمائه من الفرسان والف من

(١) ابن حيان : المقتبس ص ٩٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ص ٩٦ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٦ / مجهول : مفاخر البربر ص ٣٦٢ .

(٤) هذا ما ذكره كل من صاحب كتاب (مفاخر البربر ص ٩) وابن حيان (المقتبس ص ٩٦) وابن عذاري (البيان جـ٢ ص ٢٤٦) اما ابن أبي زرع (الأنيس ص ٩١) والناصري (الاستقصا جـ١ ص ١٨٣) فقد ذكرا، أن المعركة قد وقعت في أحواز طنجة في موضع يعرف بفحص بني مصرخ .

(٥) أجمع كل من ابن حيان (المقتبس ص ٩٦) وابن عذاري (البيان جـ٢ ص ٢٤٦) وابن ابي زرع (الانيس ص ٩١) والناصري (الاستقصا جـ١ ص ١٨٣) علي أن القائد ابن طملس قد قتل في هذه المعركة ، بينما خالفهم في هذا يحي بن خلدون حينما قال (فانهزم القائد المذكور – يقصد بن طملس – وتحصن بطنجة) (بغية الرواد ص ١٦٨) .

الرجالة [1] . وفر الباقون إلي مدينة سبتة وتحصنوا بها ، وكتبوا إلي الحكم المستنصر يستغيثون به [2] .

وعقب هذا الانتصار أرسل الحسن بن كنون إلي القائد الأندلسي عبد الرحمن بن أرمطيل يعرض عليه الصلح الذي أرسل بدوره إلي الخليفة الحكم يعرض عليه الأمر ، فرفض الأخير هذا الطلب ، وأمره هو وغيره من القادة بمواصلة القتال [3] . ولكنه سرعان ما عاد وتراجع ووافق علي الصلح شريطة أن يعلن الحسن بن كنون التوبة بتكفير مذهبه ، وأن يأخذ البيعة من رعيته ، ومن ثم يقوم بتسليم نفسه إليه ليكون تحت رحمته [4] .

ولكن يبدو أن هذه المفاوضات قد وصلت إلي طريق مسدود بعد أن رفض الحسن بن كنون هذه الشروط المجحفة التي حاول الخليفة الحكم من خلالها إذلاله واضعاف موقفه بين مؤيديه ورعاياه .

ومن ثم أمر الخليفة الحكم المستنصر ، بعد فشل هذه المفاوضات ، قائده غالب بن عبد الرحمن ، الذي كان قد ضرب معسكره آنذاك بفحص السرادق في شرقي قرطبة [5] ، بالاستعداد للتوجه إلي بلاد المغرب لقتال الادارسة ،

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص ٩٦ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٦ .

(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩١ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢١ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ص ٩٨ .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٠ .

(٥) نفس المصدر ص ١٠٢ .

فقدم غالب إليه ، حيث أشرف الخليفة علي تجهيز جيشه وامداده بالأموال والرجال [1] . فلما اكتملت حشود غالب خرج من قرطبة في التاسع من رجب سنة ٣٦٢ هـ / ١٥ يناير ٩٧٢ م [2] بعد أن حثه الخليفة الحكم علي الاستبسال في قتال الادارسة واستنزالهم من معاقلهم [3] . وقال له عند وداعه : (يا غالب سرمسير من لا إذن له في الرجوع ، إلا حياً منصوراً ، أو ميتاً معذوراً ، ولا تشح بالمال ، وابسط يدك به يتبعك الناس) [4] .

وفي نفس اليوم الذي رحل فيه الجيش ، وصلت الخليفة رسالة من قادة الجيوش الأندلسية [5] في العدوة المغربية ، يخبرونه فيها بأنهم تمكنوا من هزيمة الحسن بن كنون والإستيلاء علي مدينة أصيلا ، وقتل عدد كبير من جنوده ، وأسر زعيم لواته يحي بن قشاش ، وبعض قادة الجند وطي رأسهم ختن حسن وانا قول بن سبع [6] . غير أن الخليفة أرسل إليهم ينصحهم بأن لا يتعرضوا له حتي يلحق

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٢ / ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩١ ، ٩٢ / ابن الخطيب : اعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢١ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ .

(٢) أخذنا بما ذكره ابن حيان بالنسبة لتاريخ خروج الحملة من قرطبة وهو شهر رجب لانه يتفق وسير الاحداث التاريخية آنذاك (المقتبس ص ١٠٢) اما ابن ابي زرع والناصري فقد ذكرا أن الحملة قد خرجت آخر شهر شوال (الانيس المطرب ص ٩٢ / الاستقصا جـ١ ص ١٨٣) .

(٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / انظر : مجهول : مفاخر البربر ص ٩ .

(٥) وهم رشيق بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن يوسف بن أرمطيل واسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ (ابن حيان : المقتبس ص ١٠٢) .

(٦) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٢ .

بهم القائد غالب بن عبد الرحمن [1] .

أما القائد غالب ، فعندما وصل إلي الجزيرة الخضراء ، أقام فيها ، واتخذها قاعدة له ، لتجميع (الأخبار والخيل والأثقال وآلات الحرب) [2] استعداداً للعبور إلي طنجة . والي هناك كان الخليفة الحكم يرسل إليه من حين لآخر الأموال والرجال لتدعيم جيشه قبل العبور ، ففي أوائل شعبان أرسل إليه الخليفة صاحب الشرطة العليا والحشم قاسم بن محمد بن قاسم بن طملس علي رأس قوة ضخمة [3] ، وكان برفقته أحمد بن محمد بن حيدر ومعه ثمانون ألف دينار لتوزيعها علي الجند المرابط في طنجة وأصيلا بمناسبة حلول شهر رمضان [4] كذلك عزز الخليفة هذا المبلغ بعد أيام قليلة [5] بعشرة آلاف دينار لتوزيعها علي رؤساء القبائل الذين يتخلون عن حسن ابن كنون ، وذلك (حسب مقاديرهم ، استئلافاً لهم واستصفاءً لبصائرهم) [6] بالاضافة إلي أحمال من ثياب الديباج والخز والمطارف والسيوف المحلاة لخلعها عليهم [7] .

فلما تم لغالب ما كان يريده من المال والرجال وأثقال الحرب ، ابحر بهذه

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١١٥ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٦ .

(٥) وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من شعبان (نفس المصدر ص ١٠٨) .

(٦) نفس المصدر ص ١٠٨ .

(٧) نفس المصدر ص ١٠٨ .

الحشود إلي مدينة طنجة يوم الأحد لاحدي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ١٥ يونيه ٩٧٣ م . وعندما اوشك علي الوصول إلي سواحلها واجهته رياح شديدة أجبرته علي العودة من حيث أتي [١] ، فبقي هناك إلي أن سكنت الريح فأبحر مرة أخري إلي العدوة المغربية ، فوصل إلي مرسي باب القصر ، بالقرب من مدينة طنجة ، يوم الخميس لثمان بقين من شهر رمضان [٢] .

فلما علم ابن كنون بتحرك غالي اليه قرر الرحيل عن المدن التي كانت بيده ، واللجوء بحريمه ، وجميع أمواله وذخائره إلي معقله الاكثر مناعة قلعة حجر النسر ، ثم أخذ في حشد قواته استعداداً لملاقاة غالب الذي كان قد وصل آنذاك إلي قصر مصمودة فخرج إليه ابن كنون في جموع غفيرة من البربر واشتبك جيشاهما في معارك دامت عدة أيام انتهت لصالح غالب الذي استخدم سلاحاً فعالاً للوصول إلي هذه النتيجة ، وذلك بأرساله الأموال والهدايا إلي رؤساء البربر المناصرين لابن كنون ، ووعدهم وأمنهم ، فتخلوا عنه ، حتي لم يبق معه الا خاصته ورجاله الذين لجأ معهم إلي المناطق الوعرة في جبلي الكرم ومهران [٣] .

فقام غالب بمطاردة هذه الفلول المنهزمة وضرب عليها الحصار في المناطق

---

(١) ذكر ابن حيان أن اسطول غالب قد جرفته الرياح إلي مرسي بطنه المعروف بمرسي قباله بغربي الجزيرة الخضراء ، وهي علي بعد أربعة أميال منها . (المقتبس ص ١١٥ ، ١١٦) .

(٢) نفس المصدر ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ .

التي لجأت اليها في جبلي الكرم ومهران [1] . فلما وجد أن هذه المنطقة صعبة الارتقاء غير صالحة للقتال ، حاول استدراج ابن كنون ومن معه للقتال في السهل ، فلما نجح في ذلك ، هجم عليهم في اليوم الرابع عشر من شوال ، فهزمهم وقتل الكثير منهم ، فعاد الباقون إلي اللجوء مرة أخري إلي المناطق الوعرة ، فلما أدرك غالبباستحالةالنيل من غريمه طالما ظل متحصنا بهذه الجبال ، عاد إلي استخدام سلاحه الفعال وهو توزيع الأموال علي القبائل ، فأخذ في استمالة سكان جبل الكرم ، وهم من بربر كتامة [2] ، فاستجابوا له ، وانضموا إلي قواته ، فشدد غالب الحصار علي الأدارسة ، وضيق الخناق عليهم ، فوجد ابن كنون انه لا طاقة له علي مدافعة هذه القوات ، فهرب مع خاصته إلي قلعة حجر النسر ، تاركاً وراءه امتعته من الأقوات والأسلحة وغير ذلك ، فاستولي عليها الجيش الأندلسي [3] .

وبالرغم من هذه الانتصارات التي كانت تحققها الجيوش الأندلسية علي الأدارسة ، وكفة الحرب التي كانت في صالحهم ، فإن الخليفة الحكم دفع إلي ساحة القتال في العدوة المغربية مزيداً من المال والرجال ، وذلك عندما قام باستدعاء وزيره يحي بن محمد بن هاشم التجيبي ، صاحب الثغر الأعلي ، من قاعدته سرقسطة ، فيمن معه من أهل بيته ورجاله في اليوم الخامس

---

(١) يذكر ابن حيان : ان الحسن بن كنون قد وضع جبل مهران تحت إمرته ابنه وابن عمه بينما وضع جبل الكرم تحت إمرته (ابن حيان : المقتبس ص ١٢٤) .

(٢) يذكر ابن حيان أن قبيلة حليمة ، من بربر كتامة الذين كانوا يسكنون جبل الكرم (المقتبس ص ١٢٤) .

(٣) نفس المصدر ص ٢٤ ، ١٢٤ .

من ذي القعدة سنة ٣٦٢ هـ / ٧ أغسطس ٩٧٣ م [١] ، وكلفه بالمسير إلي المغرب لمساندة القائد غالب ، علي رأس جيش كثيف ضم إليه مختلف طبقات الجند من العبيد والأحرار وغيرهم ، وزوده بستة عشر حملاً من المال العين وعدة أحمال من الكسي الفخمة والسيوف المحلاة ليوزعها القائد غالب علي من (يستأمن إليه من اكابر البربر) [٢] .

ويبدو ان هذا الاصرار الواضح من الخليفة الحكم علي تعبئة جميع موارد الدولة المالية والبشرية كان وراءه الرغبة في سرعة حسم المعركة التي طال أمدها مع الحسن بن كنون لوقف نزيف المال والرجال الذي أرهق خزينة الدولة ، والذي أدي في نفس الوقت إلي سحب كثير من القادة الأكفاء وجيوشهم المرابطة علي حدود الممالك المسيحية .

وبدون شك فقد أدت هذه السياسة إلي تعقيد الموقف أمام الحسن بن كنون ، فمن ناحية فقد خرجت عن سيادته كثير من مدنه الرئيسية وحصونه المنيعة ، فبعد أن استولي غالب علي حصونه في جبلي الكرم ومهران ، ثار عليه سكان مدينة البصرة ، وقتلوا عامله محمد بن عبد السلام [٣] ، واعلنوا

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص ١٢٨ . مجهول : مفاخر البربر ص ٩ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ص ١٢٩

انظر : ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٧٤ / مجهول : مفاخر البربر ص ٩ .

(٣) وهو خال الحسن بن كنون وكان كما يذكر ابن حيان (ظهيراً له ومدبراً لشأنه لا يقدم أمراً ولا يؤخره الا عن رأيه ومشاورته (المقتبس ص ١٤٣ ، ١٤٤) .

الطاعة والولاء لخليفة قرطبة [1] . ومن ناحية أخري فقد بدأ زعماء القبائل يتخلون عنه ، فانضم بعضهم إلي جيوش غالب ، ولجأ البعض الآخر إلي قرطبة [2] ، بل وصل الأمر إلي انفصال بعض ابناء عمومته عنه ، فقد لجأ أحمد بن عيسي وأخوه ابراهيم في بنيهم وعبيدهم ومن تبعهم إلي المعسكر الأموي [3] .

وهكذا تعاظمت قوة غالب العسكرية ، بما حصل عليه من أموال وأقوات وأسلحة ، وحشود ضخمة من الجند الوافد من الأندلس ، أو البربر الذين انحازوا اليه ، فتقدم بهذه الحشود في أواخر المحرم من سنة ٣٦٣ هـ / اكتوبر ٩٧٣ م إلي قبائل رهونه ، التي ظلت علي ولائها لحسن بن كنون ، فلما وجدوا انهم لا قبل لهم علي مواجهة هذه الحشود أعلنوا الطاعة والولاء للخليفة الحكم [4] .

وبعد ذلك بأيام قليلة وجه القائد غالب ضربة قوية ومؤثرة إلي الحسن بن كنون، جعلت المعركة تقترب من نهايتها ، وذلك عندما استولي علي الجبل المعروف بالعيون والمتصل بمعقله الحصين حجر النسر ، وضرب عليه حصاراً شديداً بألف رجل ، فجعل الحسن بن جنون سجين قلعته [5] ، أو كما يقول ابن

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٣ ، ١٤٤ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ص ١١٨ ، ١٣٠ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٠ .

(٤) نفس المصدر ص ١٤٤ .

(٥) نفس المصدر ص ١٤٦ .

حيان : (مضيقاً عليه أخذاً بمخنقه) [1] .

وبينما كان الحسن بن كنون محاصراً في قلعته حصاراً محكماً ، أخذت أفواج من الادارسة وغيرهم من قبائل البربر تتوافد علي بلاط قرطبة ، وقد أشار ابن حيان إلي اهتمام الخليفة بهذه الوفود وحسن استقباله لهم وذلك حينما جلس في الثامن عشر من صفر سنة ٣٦٣ هـ / ١٨ نوفمبر ٩٧٣ م بقصر الزهراء ، بحضور الوزراء والحجاب وكبار موظفي الدولة علي مختلف طبقاتهم لاستقبالهم وكان علي رأس هؤلاء الوافدين عبد الرحمن بن أبي العيش وحسين بن يحي بن حسن بن ابراهيم ، وحسن بن حنون الحسنين ورجالهم . وشيوخ مدينة البصرة ورجالها ، وحملة العلم فيها [2] .

كما وفد إلي قرطبة في الثالث من ربيع الأول فوج آخر من الأدارسة يتقدمهم محمد وابراهيم ابنا عيسي بن يحي بن القاسم بن ادريس [3] ، وفي اليوم التالي جلس الخليفة مرة أخري لاستقبال الرسل القادمين إليه من مدينة فاس لتقديم فروض الطاعة والولاء له ، فأكرمهم وأجزل لهم العطاء [4] .

وهكذا تخلي عن الحسن بن كنون كثير من أعوانه وأبناء عمومته ، بعدما شعر الجميع بعدم جدوي الاستمرار في قتال جيوش الحكم . ولم يقتصر الأمر علي هؤلاء فقد تخلي عنه حتي أفراد أسرته ، وذلك عندما قام ابنه المنصور وأخته وأمها

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص ١٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٦ .

(٣) نفس المصدر ص ١٤٧ .

(٤) نفس المصدر ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

بالخروج من القلعة والاستسلام مع نحو سبعمائه رجل من حاشيته للقائد الجيوش الأندلسية غالب بن عبد الرحمن (١) .

فلما وجد الحسن بن كنون أن الحصار قد اشتد عليه ، وانه لا مفر أمامه غير الاستسلام ، أرسل ابنه علي إلي القائد غالب يطلب منه الأمان له ولأهله وماله ورجاله، وأن يسير معه إلي قرطبة ليقيم بها ، فأجابه القائد الأندلسي إلي ذلك (٢) .

ومن ثم غادر ابن كنون قلعة حجر النسر ، وسلمها إلي القائد غالب (٣) ، الذي دخلها وصلي في مسجدها صلاة الجمعة ، ودعا للخليفة الحكم علي منبره في اليوم الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ٣٦٣ هـ / ١٩ مارس ٩٧٤ م (٤) .

وبعد أن أخضع القائد غالب الحسن بن كنون واستولي علي قلعته حجر النسر ، التفت إلي من بقي من الادارسة بأرض العدوة ، فأخضعهم وأجلاهم عن معاقلهم (٥) ، ثم قصد مدينة فاس واستولي عليها ، وولي علي عدوة القرويين محمد

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٠ ، ١٥١ / مجهول : مفاخر البربر ص ٩ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢١ ، ٢٢٢ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢١٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ .

(٣) نفس المصادر السابقة .

(٤) ابن حيان : المقتبس ص ١٥١ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ص ١٧٦ ، ١٧٧ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٢ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢١٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

ابن علي بن قشوش وعلي عدوة الأندلسيين عبد الكريم بن ثعلبه [1] بعد أن أخذ منهما الرهائن والبيعة للخليفة الحكم [2] .

وفي هذه الأثناء ، وصلت القائد غالب رسالة من الخليفة الحكم يأمره فيها بالعودة إلي الأندلس [3] بعد أن (وطأ جميع بلاد المغرب ، وفرق العمال في جميع النواحي ، وقطع دعوة بني عبيد من جميع أفاقه ، ورد الدعوة إلي الأموية الحكمية) [4] كذلك ترك عمل المغرب القائد يحي بن محمد بن هاشم التجيبي [5] .

فانصرف القائد غالب ، علي أثر ذلك ، عائداً إلي قرطبة بصحبة الحسن بن كنون وغيره من أمراء الأدارسة ، فوصلها في اليوم الثالث من المحرم سنة ٣٦٤ هـ / ٢٣ ديسمبر ٩٧٤ م [6] ، فاستقبلهم الخليفة الحكم بالحفاوة والتكريم ، فعفي عنهم ، وأجزل لهم العطاء ، وخصص لهم الدور

---

(١) يذكرهما ابن حيان باسم عبد الكريم بن يحي ومحمد بن حسن (المقتبس ص ١٧٤) اما ابن خلدون فيضيف الجذامي لأسم عبد الكريم بن ثعلبه (العبر جـ٦ ص ٢١٨) انظر : ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩٢ / الناصري:الاستقصا جـ١ ص ١٨٤ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ص ١٧٤ .

(٣) نفس المصدر ص ١٧٧ .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ص ١٧٧ .

(٦) نفس المصدر ص ١٩٤ / بينما يذكر كل من ابن ابي زرع وابن الخطيب أن غالب قد وصل قرطبه في (أول يوم من شهر محرم) (الانيس المطرب ص ٩٣ / أعمال الاعلام – القسم الثالث ص ٢٢) .

والأموال [1] ، ورتب نحو سبعمائة فارس من انجاد المغاربة في ديوان الجند [2] .

أقام الحسن بن كنون بقرطبة في ضيافة الخليفة الحكم ، إلي أن حدث شقاق بينهما ، بشأن قطعة عنبر كبيرة الحجم غريبة الشكل ظفر بها الحسن في بعض سواحل المغرب ، أيام ملكه بها ، وظل محتفظا بها فلما بلغت أخبارها الخليفة طلب من الحسن أن يقدمها إليه ليضمها إلي كنوزه وذخائره ، علي أن يعوضه عنها بما يرضيه ، لكن الحسن رفض طلبه هذا ، وامتنع عن تسليمه قطعة العنبر ، فأثار هذا الموقف غضب الحكم ونقمته ، فاستولي علي جميع أمواله وذخائره [3] ، بما في ذلك قطعة العنبر [4] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ص ١٩٤ - ١٠٢ / ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٤٨ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٢ / ابن خلدون: العبر جـ٦ ص ٢١٩

(٢) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٢ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢١٩ .

(٣) مجهول : مفاخر البربر ص ١١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢١٩ / ابو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٤) ذكر المؤرخون أن هذه القطعة من العنبر بقيت في خزائن الحكم وخلفائه من بعده إلي أن استولي علي بن حمود الحسني علي ملك الأندلس ودخل قصر الخلافة بقرطبة وفتح خزائنه ، واستولي علي ما وجده من ذخائر وتحف ، وكان من بينها قطعة العنبر هذه ، فعادت إلي العلويين الأدارسة مرة أخري . (مجهول : مفاخر البربر ص ١١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٥) .

غير أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ، فيبدو أن الحكم قد اتخذ من هذا الخلاف ذريعه للتخلص من الحسن وذويه ، الذين بلغ عددهم سبعمائه رجل [1] ، ليستريح من نفقاتهم الباهظة [2] ، لذلك أمر باخراجه من قرطبة ، ونفيه هو ومن معه بعيداً عن الأندلس ، وذلك سنة ٣٦٥ هـ / ٧٥ - ٩٧٦ م ، فذهب إلي تونس ، ومن هناك سار إلي مصر ، ونزل علي العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦ م) [3] الذي بالغ في اكرامه ووعده بالمساعدة للأخذ بثاره [4] .

أقام الحسن بن كنون في مصر حتي سنة ٣٧٣ هـ / ٨٣ - ٩٨٤ م ، ويبدو أن العزيز بالله قد ضجر هو الآخر من نفقات اقامة الادارسة الطويلة في مصر والتي استمرت ثماني سنوات ، لذلك طلب من الحسن الاستعداد للتوجه إلي بلاد المغرب لاسترداد ملكه ، فكتب له عهداً بذلك ، وأمر عامله علي إفريقية أبو الفتوح بلكين (٣٦٢ - ٣٧٣ هـ / ٩٧٢ - ٩٨٤ م) بأن يقدم له العون والمساعدة ، وأن يقويه بالجيوش والأموال [5] . فلما وصل الحسن إلي هناك ، اعطاه بلكين

---

(١) مجهول : مفاخر البربر ص ١٠ / ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٤ .

(٢) ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٩٣ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٢ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٧ / ابو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ .

(٤) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ .

(٥) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام - القسم الثالث ص ٢٢٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٥ .

ثلاثة آلاف فارس [1] ، فزحف بهم إلي المغرب الأقصي ، وشرع في اظهار دعوته ، فسارعت قبائل البربر من بني يفرن [2] وغيرهم إلي تقديم فروض الطاعة والولاء له [3] .

فلما وصل خبر عودة الحسن بن كنون إلي المنصور بن أبي عامر ، حاجب الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م) أرسل إلي المغرب ابن عمه الوزير أبا الحكم عمر بن عبد الله بن أبي عامر ، الملقب بعسكلاجة، علي رأس جيش كثيف ، وقلده أمر المغرب وسائر أعماله ، وأمره بمحاربة الحسن بن كنون ، وذلك سنة ٣٧٥ هـ / ٨٥ - ٩٨٦ م . فعبر عسكلاجة إلي سبتة ، فانضم إليه زعماء آل خزر محمد بن الخير ومقاتل وزيري ابنا عطية وخزرون بن فلفول وسائر جموع مغراوة [4] ، فزحف عسكلاجة بهذه الحشود صوب الحسن (فأحاط به وحاصره أياماً) [5] .

وفي هذه الأثناء ، كان ابن أبي عامر يقيم في الجزيرة الخضراء ليراقب عن

---

(١) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٩ .

(٣) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٣ ، ٩٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٣ / القلقشندي : صبح الأعشي جـ٥ ص ١٨٥ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٥ .

(٤) مجهول : مفاخر البربر ص ١٩ ، ٢٠ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ / ابن الخطيب: أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٣ / ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٢٩ / أبو زكرياء : بغية الرواد جـ١ ص ١٦٨ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٦ .

(٥) ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ .

كثب تطور الأحداث [1] ، ويبدو أن عسكلاجه كان يواجه بعض المشكلات في حروبه مع الحسن بن كنون لانه أرسل إلي الجزيرة الخضراء يطلب المزيد من الامدادات ، فوجه إليه ابن أبي عامر ابنه عبد الله [2] علي رأس جيش كبير [3] .

فلما رأي الحسن بن كنون انه لا طاقة له علي مواجهة هذه الحشود الأموية الضخمة ، اضطر في النهاية إلي الاستسلام ، شريطة أن يعطيه عسكلاجة الأمان ، وأن يلتحق بالأندلس كما فعل في المرة الأولي ، وقد وفي الأخير بعهده ، وكتب إلي ابن أبي عامر يخبره بذلك ، فأمره أن يرسله إليه علي عجل ، فبعثه إليه ، لكنه لم يمض أمان ابن عمه عسكلاجة ، وأنفذ إلي الحسن من قتله وهو في الطريق إليه [4] ، بعد أن رأي أنه لانمة له لكثرة فساده ، ونكث عهوده [5] ، وذلك في

---

(١) مجهول : مفاخر البربر ص ١٩.

(٢) في رواية اخري أرسل المنصور ابنه عبد الملك المظفر (ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ٩٤) وهذا غير صحيح ، لأن عبد الملك في ذلك الوقت كان لا يزال صبياً في الثانية عشرة من عمره ، ولم يرسله أبوه إلي المغرب إلا في حرب زيري بن عطية المغراوي أي بعد هذا الوقت بنحو أربع عشرة سنة (ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث هامش ص ٢٢٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ هامش ص ١٧٦ .

(٣) مجهول : مفاخر البربر ص ٢٠ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٣ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٦ .

(٤) ابن عذاري : البيان جـ٢ ص ٢٨١ / مجهول : مفاخر البربر ص ٢٠ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٦ .

(٥) ابن خلدون : العبر جـ٧ ص ٢٠ .

جمادي الأولي سنة ٣٧٥ هـ / سبتمبر ٩٨٥ م [١] .

ومن الجدير بالملاحظة أنه في هذه الأثناء كان بلكين ومن بعده ابنه المنصور يقاتلون في المغرب الأقصي [٢] ولم يمد أي منهما يد المساعدة للحسن بن كنون وانشغل كل منهما عن الآخر ولم يكن هناك أي نوع من التعاون أو التنسيق بينهما ، بل تركوه لمصيره المحتوم .

وبموت الحسن بن كنون ، سقطت دولة الأدارسة في منطقة الريف ، كما سقطت دولتهم من قبل في فاس ، فتفرق شملهم ، وزال ملكهم ، بعد أن ظلوا يحكمون ما يقرب من مائتين وثلاث سنين [٣] .

---

(١) مجهول : مفاخر البربر ص ٢٠ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٦ .

(٢) انظر : ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢٤١ / ابن أبي دينار : المؤنس ص ٧٤ – ٧٦

Mercier. E. : Histoire de l'etablissement des Arabes PP. 120 - 121.

(٣) انظر : مجهول : مفاخر البربر ص ٢٠ ، ٢١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٩٤ ، ٩٥/ ابن الخطيب : أعمال الاعلام . القسم الثالث ص ٢٢٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٨٧ . .

ملحق

جدول بتوزيع محمد بن ادريس الولايات علي أخوته (١)

	البكري	ابن عذاري	ابن ابي زرع	ابن الخطيب	ابن خلدون	الناصري
القاسم	البصرة وطنجة وماوالاهما	طنجة وما يليها	طنجة سبتة وقلعة حجر النسر- ومدينة تطران وبلاد مصمودة - وماولا ذلك من البلاد والقبائل	سبتة - طنجة - قلعة النسر وما والي ذلك من البلاد والقبائل	طنجة - البصرة - وسبتة وتيطاوين - القلعة حجر النسر- وماإلي ذلك من البلاد والقبائل	طنجة سبتة والقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم إلي ذلك من والقبائل والبلاد
عمر	صنهاجة وغمارة	صنهاجة الهبط وغمارة	مدينة تيكساس ومدينة ترغة - بلاد مصمودة وغمارة وماولاها	بلاد صنهاجة وغمارة	تيكسان - ترغة - ومابينهما من قبائل صنهاجة وغمارة	تيكساس - ترغة ومابينهما من قبائل صنهاجة وغمارة
داود	هوارة تاسلمت	هوارة تامليت	بلاد هوارة - بلاد تسول ومكناسة - وجبال غياثة وتازة	بلاد هوارة وما والاها	بلاد هوارة - تسول - تازي وما بينهما من قبائل مكناسة وغياثة	بلاد هوارة وتسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة
يحي	داي وما والاها	ولاه بلاداً أخري (لم يحددها)	البصرة - أصيلة - ومدينة العرائش - الي بلاد ورغة	مدينة البصرة ومدينة أصيلا	أصيلا - العرائش - بلاد ورغة وما الي ذلك	أصيلا والعرائش والبصرة وبلاد ورغة وما والي ذلك

(١) انظر : البكري المغرب ص١٢٤ / ابن عذاري : البيان جـ١ ص ٢١١ / ابن ابي زرع : الأنيس المطرب ص ٥١ / ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثالث ص ٢٠٤، ٢٠٥ / ابن خلدون : العبر جـ٤ ص ١٤ / الناصري : الاستقصا جـ١ ص ١٥٦ .

	البكري	ابن عذاري	ابن ابي زرع	ابن الخطيب	ابن خلدون	الناصري
حمزة	الأودية بقرب وليلي	لم يذكره	مدينة تلمسان وأعمالها	مدينة تلمسان	وليلي وأعمالها	مدينة وليلي وأعمالها
عيسى	وازفور وسلي	ولاه بلاداً أخرى (لم يحددها)	شاله – سلا – ازمور وتامسنا وما ولا ذلك من القبائل	مدينة شاله وأزمور وتامسنا وبرغواطة	شاله – سلا – ازمور وتامسنا وما الي ذلك من من القبائل	سلا وشاله وأزمور وتامسنا وما انضم إلي ذلك من القبائل
عبد الله	لمطة وماوالاها	ولاه بلاداً أخرى (لم يحددها)	أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس	بلاد السوس الأقصي وبلاد نفيس وأغمات	أغمات – بلد نفيس – جبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصي	أغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصي
أحمد	لم يذكره	لم يذكره	مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا	مدينة مكناسة وبلاد فازاز وتادلا	لم يذكره	مدينة مكناسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فازاز

أهم المصادر والمراجع

- ابن الأبار : (ت ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله

الحلة السيراء (تحقيق د. حسين مؤنس - الجزء الأول - الطبعة الأولي - القاهرة - ١٩٦٣) .

- ابن الأثير : (٦٣٠ هـ / ١٢٣٩ م) علي بن أحمد بن محمد

الكامل في التاريخ (٩ أجزاء - بيروت - ١٩٦٧) .

- ادريس : (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٨٨ م) الداعي ادريس عماد الدين

كتاب عيون الأخبار - نشر تحت عنوان تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (تحقيق/ محمد اليعلاوي - بيروت - ١٩٨٥) .

- الأدريسي : (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) ابو عبد الله الشريف الادريسي

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (تحقيق / اسماعيل العربي - الجزائر - ١٩٨٣) .

- البكري : (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م) أبو عبد الله بن عبد العزيز

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الجزائر - ١٩١١) .

- التنسي : ابو عبد الله

كتاب نظم الدر والعقيان (تحقيق / د. عبد الحميد حاجيات - الجزائر - ١٩٨٤) .

- الجزنائي : ابو الحسن علي

زهرة الآس في بناء مدينة فاس (تحقيق / الفريد بل ـ الجزائر - ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢م) .

- جوليان : اندري

تاريخ افريقية الشمالية (ترجمة / محمد المزالي - البشير بن سلامة - الجزء الثاني - تونس - ١٩٨٣) .

- ابن حماد : (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٣٠ م) ابو عبد الله محمد بن علي

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم (الجزائر - ١٩٨٤) .

- حسن ابراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية (الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٦٤) .

- حسين مؤنس

معالم تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة - ١٩٨٠) .

- ابن حيان : (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) ابو مروان حيان بن خلف

المقتبس في أخبار الأندلس (الجزء الثاني تحقيق / عبد الرحمن علي الحجي - بيروت ١٩٨٣) (الجزء الخامس نشره / ب. شالميتا - مدريد - ١٩٧٩) .

- ابن حوقل : (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ابو القاسم بن حوقل النصيبي

صورة الأرض (بيروت ١٩٧٩) .

- ابن الخطيب : (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) الوزير لسان الدين محمد

اعمال الاعلام (القسم الثالث تحقيق / د. احمد مختار العبادي - محمد ابراهيم الكناني - الدار البيضاء - ١٩٦٤) .

- ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٢٧١ م) عبد الرحمن بن محمد
العبر وديوان المبتدأ والخبر (٧ أجزاء - بيروت - ١٩٧٩) .

- دائرة المعارف الاسلامية - مادة حجر النسر - (رينيه باسيه) .

- ابن ابي دينار : (ت ١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م) ابو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني
المؤنس في أخبار افريقية وتونس (تونس ١٢٨٦ هـ) .

- ابن ابي زرع : (ت ٧٤١ هـ / ٤٠ - ١٣٤١ م) علي بن ابي زرع الفاسي الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط - ١٩٧٢) .

- ابو زكرياء : (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) يحي بن خلدون
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزء الأول تحقيق / عبد الحميد حاجيات - الجزائر - ١٩٨٠) .

- سالم : عبد العزيز سالم
المغرب الكبير - العصر الاسلامي (الجزء الثاني - الاسكندرية - ١٩٦٦) .

- السبتي : محمد بن القاسم الأنصاري
اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار (تحقيق / عبد الوهاب بن منصور - الطبعة الثانية - الرباط - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

- سرور : محمد جمال الدين
الدولة الفاطمية في مصر (القاهرة - ١٩٧٩) .

- سعد زغلول عبد الحميد

تاريخ المغرب العربي (جزءان - الاسكندرية - ١٩٧٩) .

- الشعراوي : أحمد ابراهيم

الامويون أمراء الأندلس الأول (القاهرة - ١٩٦٩) .

- الطبري : (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ابو جعفر محمد بن جرير

تاريخ الرسل والملوك (تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم - الجزء الثامن - دار المعارف - الطبعة الثالثة - ١٩٧٩) .

- فيلالي : عبد العزيز

العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب (الجزائر - ١٩٨٢) .

- ابن القاضي : أحمد بن محمد بن محمد

جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة (فاس - ١٣٠٩ هـ)

- ابن قتيبة : (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ابو محمد عبد الله بن مسلم

المعارف (تحقيق / ثروت عكاشة - الطبعة الرابعة - القاهرة - ١٩٨١) .

- القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ابو العباسي أحمد

صبح الأعشي في صناعة الانشا (الجزء الخامس القاهرة - ١٩١٤) .

- العبادي : أحمد مختار العبادي

سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد - المجلد الخامس - ١٩٥٧) .

- ابن عذاري : (توفي نهاية القرن السابع الهجري) ابو عبد الله محمد

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (تحقيق / ج. س. كولان / ليفي بروفنسال - الجزءان الأول والثاني - دار الحداثة بيروت) .

- عفيفي محمود ابراهيم

بنوزيري وعلاقتهم السياسية بالقوي الاسلامية في حوض البحر المتوسط (القاهرة - ١٩٨٩) .

- . . . . . .

الفتن الداخلية في بلاد المغرب في عهدي القائم والمنصور (القاهرة - ١٩٨٩) .

- ليفي بروفنسال

الاسلام في المغرب والأندلس (ترجمة / السيد عبد العزيز سالم / محمد صلاح الدين حلمي - سلسلة الألف كتاب - القاهرة - ١٩٥٨) .

- مجهول

كتاب مفاخر البربر (تحقيق / ليفي بروفنسال - الرباط - ١٣٥٢ - ١٩٣٤) .

- محمود اسماعيل عبد الرازق

الخوارج في بلاد المغرب حتي منتصف القرن الرابع الهجري (الدار البيضاء - ١٩٨٥) .

- . . . . . .

الأدارسة (القاهرة ١٩٩١) .

- المراكشي : (ت ٦٦٠ هـ / ٧٠ - ١٢٧١ م) عبد الواحد بن علي

المعجب في تلخيص أخبار المغرب (تحقيق / محمد سعيد العريان - محمد العربي العلمي - الطبعة السابعة - ١٩٧٨) .

- الناصري : ابو العباسي أحمد بن خالد

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصي (الجزء الأو ل - الدار البيضاء - ١٩٥٤) .

- النعمان : (٣٦٣ هـ / ٧٣ - ٩٧٤ م) ابو حنيفة بن محمد المغربي

افتتاح الدعوة (تحقيق / فرحات الدشراوي - تونس - ١٩٨٦) .

- ياقوت : (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت

معجم البلدان (٥ أجزاء - بيروت - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧) .

- اليعقوبي : (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) أحمد بن أبي يعقوب

تاريخ اليعقوبي (جزءان - دار صادر - بيروت) .

- Gautier , E F : Le Passé de l'Afrique du Nord , le Siecles , Paris , 1942 .

- Mercier , E. : Histoire de l'etablissment des Arabes dans l'Afrique Septentrionale (Paris , 1875) .

- O'Leary , De lacy : A Short History of the Fatimid Khalifate London , 1923 .